١٠٧٩
Wahas
دار م. النحاس

حب

1079
HARLEQUIN

الصمت عن الحقيقة

كاتلين اوبراين

hamasaat

الصمت عن الحقيقة

كاتلين اوبراين

منذ ستة أعوام مضت، لم ترَ جيني كيرني صديق العائلة مايكل وينترز الذي اعتقدت مرة بأنها تحبه.
مايكل وينترز من ناحيته، لم يعد إلى تكساس بعد غيابه عنها منذ ستة أعوام، لأنه لم يكن بإمكانه أن يواصل حياته فيها بعد الذي حصل، كما أنه لم يكن بإمكانه مواجهة جيني.
أما الآن فمايكل مكلّف في أن يعثر على شقيقة جيني والتي تدعى كلار، وجيني هي الوحيدة التي تعرف المكان الذي تختبأ فيه شقيقتها ولا ترغب بأن تطلع أحداً عليه خاصة لمايكل الرجل الذي تتهمه بمقتل شقيقها.

لبنان: ٣٠٠٠ ل.ل – سوريا: ٦٠ ل.س – الكويت: ٧٥٠ فلس – البحرين: ١ دينار – قطر: ١٠ دراهم – السعودية: ١٠ ريالات – الامارات: ١٠ دراهم – الاردن: ١,٥ دينار – مصر: ٤ جنيه – المغرب: ٨ درهم مغربي. – سلطنة عمان ١ ريال.

«دعيني أساعدك يا عزيزتي.»

ولاطفها ليحثها على البوح بمكنونات قلبها متابعاً: «هل كلار غارقة في مشكلة ما؟ وأين هي؟»

كادت أن تبوح له بالسر بعدما لمست الرقة والعذوبة في صوته، فقد كان فيما مضى صديقاً لها، لا بل صديقاً وفيّاً. لكن ذكرى اخاها كوين الآن كانت كافية لأن تمنعها عن النطق بالكلمات التي ينتظرها منها مايكل، كما أنه ليس موجوداً هنا لأجل حمايتها بل لأجل أن يفشي السر.

hamasaaat

الفصل الأول

أخذت جنيفر كيرني تحوم حول الباب مترددة لمدة عشرين دقيقة، كانت تحمل حقيبتها بيد وباليد الثانية مفتاح السيارة. وكانت في حالة لا تحسد عليها من الأفكار والمشاعر المثقلة بعوامل مختلفة من الكآبة والحزن. وحوّلت نظرها إلى النافذة تحدّق بالأجواء الممطرة والضبابية في الخارج وهي تدرك تماماً بأنه عليها أن تخرج وفي الحال، فهذا المكان مع كونه لطيفاً هو أشبه بالسجن الذي يتعذر الهروب منه، لكن شقيقتها كانت تبكي بمرارة، مما جعل جيني غير قادرة في أن تمدّ يدها إلى مسكة الباب لتفتحه.

ومع ذلك، لم تقم بأية حركة، حتى انها لم تنطق بكلمة واحدة أيضاً وذلك لأنه لم يبقَ شيء يمكن قوله. وكانت قد انتهت مع شقيقتها منذ خمسة عشر دقيقة من نقاش وجدال طويل.

لكن كيف تستطيع أن تخرج من هنا؟ وشقيقتها الكبرى كلار ما زالت تبكي. لقد أفضت دموعها الساخنة منذ ساعات مضت، ولكنها الآن عادت لتبكي بصمت وكآبة دون توقف. فحوّلت جيني نظرها إلى حيث كانت تجلس شقيقتها قرب النافذة، فوجدتها وكأنها طفلة بائسة ما زالت تحتاج إلى العون والمساعدة.

أبعدت جيني نظرها على الفور عن كلار وقد شعرت بألم

حاد في عينيها وبعجز عن متابعة النظر إليها وهي على هذه الحالة من الكآبة واليأس.

وشردت بذهنها وكأنها مؤكدة لنفسها أنه لا بدّ أن هناك شيء آخر يمكن أن تقوله قد يجعل كلار ترى وتدرك كم أن خطتها مستحيلة، فهي لا يمكنها أن تستمر مختبئة في هذا الكوخ في هذه الجزيرة طول العمر. فالشيء الصحيح الوحيد، يحتم عليها أن تعود إلى منزلها، أو إلى زوجها أليكس، أو على الأقل إلى تريبل كاي، وهي مزرعة عائلة كيرني.

لكن كلار لم تكن يوماً تستعمل عقلها ولا حتى ولا بأي شكل من الأشكال، كما أنها لا تتراجع عن أية فكرة يصوّرها لها عقلها بأنها هي الأصح. لذا وبالنسبة إليها، كانت تعتقد بأن هذا الكوخ رائع ورائع جداً! فتحوّلت نظرات جيني عن شقيقتها، إلى السجادة البالية ومنها إلى الأثاث الملطخ، ثم تنهّدت وقد ازداد شعورها بالكآبة والحزن متسائلة في نفسها هل حقاً أن ما تراه شقيقتها في هذا الكوخ رائع؟

فجزيرة ستيوارت روت الصغيرة والتي تقع قبالة الشاطىء الجنوبي لتكساس، لم تكن يقصدها السواح كثيراً. حتى في هذه الأيام، وخلال أفضل أشهر فصل الصيف، فتراها مهجورة كليّاً. ولهذا السبب اختارتها كلار.

قالت جيني أخيراً: «سأعود غداً.» تحاول جهدها لكسر ذلك الحاجز النفسي الذي يمنعها من فتح الباب.

قالت كلار بانفعال: «لا تأتي إذا شعرت أن احداً

يلاحقك.» شحب لون وجهها، مما جعل جيني تتساءل في نفسها لو أنها هي أيضاً تبدو كذلك في ظل هذا النور الواهي.

حاولت جيني أن تبتسم وقالت: «قولي الحقيقة يا كلار، هل تعتقدين حقاً أن والدنا يسمح بأن تلاحق ابنته؟»

أجابت كلار بنبرة مخنوقة: «إنني فعلاً أعتقد ذلك. انه يستعمل اللين والرقة معك لأنه مطمئن بأنك ستخبرينه أخيراً بمكان وجودي. فأنت ابنته الطيبة على كل حال.»

شعرت جيني بالخجل والحرج من نفسها، فقد نطقت كلار بكلمة الطيبة بطريقة بائسة لها مغزى ومما لا شك فيها أنها كانت مقتنعة بذلك.

الابنة الطيبة التي تبتسم وتطيع الأوامر والتي تبعد نفسها عن المشاكل، بينما شقيقها وشقيقتها المتحدّيان يلهوان بطيش دون أن يقدرا عواقب الأمور والمشاكل التي قد يقحمان نفسيهما فيها.

ثم قالت كلار بشيء من الحدة: «لكن وعندما يدرك الوالد بأنك حقاً لن تخبريه بمكان وجودي، سيجن جنونه. فأنت تعرفينه وتعرفين مغالاته للأمور خاصة أنه لم يقف يوماً إلى جانب امرأة تعاني من أية مشكلة، حتى ولو كانت هذه الامرأة ابنته. فأنا بالنسبة إليه لست سوى عنصر غير فعّال ويوطد العزم على أن يقيدني ويعيدني إلى حظيرته. انه لن يستسلم ولن يتوانى في الوصول إلى هدفه.»

إذاً، هيا بنا نواجهه وننهي كل شيء، هذا ما أرادت جيني أن تقوله، لكنها تراجعت. لأنها كانت قد اقترحت عليها هذه

الفكرة وأفكاراً أخرى عقلانية عديدة، ولمرات متكرّرة خلال الاسبوعين الماضيين منذ أن اختبأت كلار في هذا الكوخ رفضتها جميعها بعناد وهي تزداد ثورة وقلقاً يوماً بعد يوم.

وبقيت كلار على عنادها مع أن جيني عرضت عليها بأنها ستحاول ان تقنع والدهما بالتعاون. ذلك لأنها أي كلار لا تريد أن تدخل آرثر كيرني أي الوالد في هذا الوضع الدقيق، معتبرة أن المشكلة شخصية جداً ولا تخصّ أحداً سواها. وكم تجادلت مع جيني في هذا الأمر بحدة وغضب قائلة لها، إذا كنت غير قادرة في ابقاء الأمر على هذا الحال، فإنني سأهرب حتى منك أيضاً دون أن أدعك تعرفين مكاني.

إن تهديدات كلار كانت حقيقية وواضحة، وقد أدركت جيني ذلك من مجرد رؤية عينيها الشاحبتين والمتوعدتين. كما أن هناك شيء خطير يحصل بين كلار وزوجها، شيء لم تكن متهيأة بعد لتطلعه على أحد. فجيني تعلم جيداً أنها لو أصرّت أن تخبر والدهما بمكان كلار، فلسوف لا يجدانها في هذا الكوخ الصغير.

لكن هل كانت المشكلة مهما كان نوعها تخفي الجواب الحقيقي؟ فقالت جيني بعد ذلك بيأس: «كلار، إنني لا أفهم لماذا.»

تمتمت كلار بكلمات بائسة ومبهمة مشيحة بوجهها عن وجه شقيقتها. وتمكنت جيني أن ترى بواسطة شعاع القمر دمعة تتدحرج على خد كلار، فشعرت بجفاف في حلقها وقد تحيرت لتجد كلمات مواسية ترطّب بها قلب شقيقتها. ربما

أنها لا تعرف كيف يمكنها مساعدتها، لكنها لن تتوانى لحظة عن حمايتها.

يجب عليها حمايتها، خاصة وأن ليس لكلار سواها، فوالدتهما ماتت فور ولادة جيني، وشقيقهما العزيز كوين والذي كان يشبه كلار قلباً وقالباً في طيشها، قتل منذ ستة أعوام مضت. والآن لم يبق سوى جيني وكلار لمؤازرة بعضهما في المحن والشدائد.

ثم قالت جيني: «سأكون حذرة جداً فيما لو كلّف الوالد أحدهم لملاحقتي. سأعود في الغد أعدك بذلك.»

انتظرت جيني لحظة قبل أن تهم بالخروج، لكن كلار الغارقة في أفكارها السوداء لم ترفع نظرها لتعلق بكلمة. ففتحت جيني أخيراً الباب وخرجت. فشعرت حالاً بلفحة الهواء البارد المصحوب بالمطر الغزير فأسرعت الخطى باتجاه سيارتها.

كانت ما زالت بعيدة عدة أميال عن منزلها بعد مضي ساعة من الوقت قرابة منتصف الليل، فلازمها شعور بأنها تبعد أيضاً مئات الأميال لإيجاد حل يخرج كلار من ورطتها، وقد أنهكها التعب والاجهاد.

لم تستطع أن تفكر بأي شيء الآن سوى بدفء سريرها وهي تعبر الباب المقوّس لأرض المزرعة، إن الجميع نيام في الوقت الحاضر وتريد أن تهدأ وتنام مثلهم هي أيضاً ولمدة أسبوع كامل.

لكن الحظ لم يكن حليفها، فعند وصولها إلى الممر الخاص المستدير، وجدت سيارة غير مألوفة لديها تقف أمام المنزل وكأنها ظل أسود جاثم في هذا المكان، وكانت

أناقتها وفخامتها تدلان على أنها ثمينة جداً، فانزعجت جيني من ذلك وساورها الشك.

لا بدّ وأن داخل المنزل أحد أصدقاء العمل العزيزين لوالدها! إن والدها لم يكن راضياً وهو صاحب شركة كيرني المسيطرة على برامج الكومبيوتر. وكان يتباهى بنفسه بأنه المزارع والرجل النبيل مع أن رئيس عماله قد لا يوافق ضمناً بأنه ذاك الرجل النبيل. المهنتان اللتان يقوم بهما، جعلت من مربي الماشية والمحامين، وأصحاب المصارف ومسؤولي المحاسبة يدخلون مزرعة تريبل كاي في أي ساعة من ساعات الليل والنهار.

وكان والدها يتوقع منها أن تقوم بدور المضيفة لهؤلاء الأشخاص إن كانت تعبة أو لم تكن. ويتملكه الغضب الشديد لو أنها رفضت ذلك. لكنها حتماً سترفض هذه الليلة وهذا من سوء حظه.

فأوقفت سيارتها وراء تلك السيارة السوداء ثم أوقفت محركها.

أخر المطر الغزير عملية تحركها وهي تصعد درجات السلم. لم تجد الباب مقفلاً، ولكنها عندما دخلت ردهة المنزل، وجدت حقيبتا سفر سوداوان كسواد وغلاوة السيارة السوداء في الخارج. فاحتارت لوجودهما، وتساءلت عن سبب ذلك، خاصة وأنه ليس من عادة والدها أن يدعو أصدقاء العمل للمبيت في المزرعة.

ثم سمعت أصواتاً، فتحوّلت نظراتها حالاً إلى القاعة الكبيرة بينما كانت بقية أرجاء المنزل مضاءة على أكمل وجه مما سمح لها أن ترى بوضح ذاك الرجل الذي كان يقف

إلى جانب والدها، عندها شعرت بشيء يقبض على صدرها وبألم، فأسقطت حقيبة يدها لا شعورياً منها على الأرض مجفلة.

لم يكن الرجل الذي رأته في الداخل أحد رجال الأعمال ممن يعرفهم والدها، بل كان في الواقع العكس تماماً لما صوّره لها عقلها. وقد كان يدخّن سيجاراً كريه الرائحة فمن المؤكد قدّمه له والدها.

إن الرجل الذي أخذ يحدّق بها بعينيه غير الصافيتين، كان ما زال شاباً وقد كان ومنذ ستة أعوام مضت، فقط في الثالثة والعشرين من عمره. كما أنه كان أقل نحافة. هذا بالإضافة، أنه لم يكن أيضاً من المدخنين.

لكنه قام بشيء أسوأ من ذلك بكثير.

اسم ذلك الرجل مايكل وينترز. ومنذ ستة أعوام مضت، قام المدعو مايكل وينترز بقتل شقيقها.

أرغم مايكل نفسه على الوقوف حالما سمع صوت فتح الباب. فمن بين وجوه العالم بأسره، لم يكن يرغب في رؤية وجهها، وأيضاً ومن بين كل العيون الزرقاء، لم يكن يرغب في لقاء عينيها.

كانت عينا جيني الجميلتين تمتلآن بالدموع عندما رآها لآخر مرة، أي منذ ستة أعوام مضت. وكان شقيقها قد مات في تلك الليلة المشؤومة، مات بين ذراعي مايكل، وهو ينزف من طلقة عيار مسدس، وبعد استجواب مايكل قرّرت هيئة المحلفين أخيراً أن الشخص الذي سدّد تلك الرصاصة إلى شقيقها هو مجهول الهوية. وكانت دموعها التي ذرفتها تلك الليلة ساخنة تحتقن فيها عاملان من الألم

والثورة، لأنها لامت مايكل على صنيعه وكرهته من أجل ذلك. لكنه وعندما رآها في المستشفى، تقدم منها محاولاً التخفيف عنها وبالتالي ليشرح لها الأمر، وجدت يديه ملطختين بالدم...

وهاله ما وجد في عينيها تلك!

لكن الآن وبما أنه هنا، وفي الغرفة نفسها، أدرك بأنه سيرى شيئاً في عينيها ربما يخشاه أكثر. شيء أكبر من الحقد، وأكثر من الحزن، سوف يرى شقيقها كوين فيهما. وحاول بيأس أن يبعد طيف ذكرى كوين عن مخيلته.

فمنذ ثمانية أعوام مضت، عندما دعا الملازم أول كوينتون كيرني بفخر الملازم أول مايكل وينترز إلى منزله في تريبل كاي من أجل مناسبة ما، أعرب مايكل عن دهشته واستغرابه كيف أن الثلاثة من عائلة كيرني يتشابهون في نفس الشعر الأملس والأشقر، وفي نفس الرموش الداكنة من عيونهم الزرقاء، وبنفس بشرتهم التي تميل إلى السمرة من مزاولة السباحة وكرة المضرب وكأنما لا رياضة اخرى يزاولونها سوى هاتين الرياضتين دون أن يكلفوا أنفسهم بالقيام بأي مجهود آخر يذكر.

لكن كان بينهم فوارق دقيقة، وقد لاحظها مايكل على التوالي خلال زياراته المتكرّرة إلى منزل عائلة كيرني. فالكبرى كلار، بدا جمالها الأشقر فاتراً وباهتاً. أما كوين فكان يبدو ضجراً متململاً، بينما كانت عيناه الزرقاوان كأنها تبحث دائماً عن كل شيء جديد، وكأنما كان يرى الحياة وكأنها مدينة ملاهي خاصة به وقد بات يضجر منها الآن.

أما جيني وهي الأصغر سناً كانت في بداية معرفته بالعائلة، ما زالت في سن الخامسة عشر فقط، وأيضاً فقط في السابعة عشرة عندما مات كوين. كانت أعذب من الاثنين، وتتمتع بقوة الشخصية، قوة كانت تختلف بوضوح من شقيقها وشقيقتها.

لكن هذا كان منذ زمن بعيد، فلم يكن الآن أية عذوبة في نظرات جيني التي وجهتها إلى مايكل. تغلّب على ما كان يشعر به وأبعد أفكاره عن الماضي وشجونه ثم تقدم منها. ورأى أنه يتوجب عليه أن يتكلم معها بالرغم من مشاعره المتضاربة.

«مرحباً جنيفر.» ومدّ يده لمصافحتها، فصافحته لكن بيد باردة.

«يسعدني أن أراك من جديد.» قال ذلك وقد كره النبرة المصطنعة التي تفوه بها. إنما لم يكن هذا ما كان يريد قوله، بل كان يريد أن يقول، هل سامحتني يا جيني؟ لكنه لم يستطع ذلك. فيدها الباردة وعيناها منعانه من تحقيق مأربه.

أجابته: «مرحباً مايكل.» وسحبت يدها الباردة من يده بسرعة، ثم ابتعدت عنه باتجاه المدفأة.

خيّم بعد ذلك صمت حرج، كان مايكل خلاله يحدّق بها لا شعورياً، يحدّق بشعرها الذهبي الذي ربطته إلى الخلف بربطة بيضاء تلمع فيها خيوط فضية وقال في نفسه: كم كبرت يا جيني.

كانت منذ ستة أعوام مضت تتمتع بالطبيعة غير المتزلفة في عينيها البريئتين وكذلك من تسريحة شعرها. جميلة ولا تدري كيف تعتني بنفسها وتظهر ذلك الجمال أكثر بواسطة

اختيارها للملابس أو من وضع المساحيق التجميليه على وجهها. لكنها تبدّلت اليوم في مظهرها السخيف ذلك إلى امرأة ناضجة تلفت الأنظار. ولكم حاولت آنذاك وبجهد أن تلفت أنظاره إليها، لكنها ومع ذلك كانت تفضل أن لا تسمع منه كلمة اطراء نظراً لصغر سنها وعدم إدراكها وكان من ناحيته يفضلها دائماً على طبيعتها.

كان يفضلها على حقيقتها الناصعة البياض، ففي يوم، وذلك قبل اسبوعين من وفاة كوين، أمضى معه ومن جيني ساعات الليل الطوال في مشاهدة أفلام عن الغرب الأميركي، وقد اعتبر تلك الليلة من أسعد ليالي حياته.

لكن تلك الفتاة الطائشة غابت الآن لتحل مكانها فتاة جميلة لأبعد حدود الجمال، كما أن كوين غاب الآن أيضاً ولكن بصورة نهائية.

نظرت إليه بشمولية ثم رفعت أحد حاجبيها قائلة: «حسناً، حسناً مايكل وينترز، أتساءل يا ترى ما الذي عاد بك إلى تكساس؟»

قطّب حاجبيه عندما لمس نبرة السخرية في قولها. انه يذكر بأن كلار وكوين كانا أكثر الأحيان، تملأ نبرة السخرية أقوالهما، ولكنه لا يذكر أنه سمعها من جيني بالذات، فتساءل، هل يا ترى تغيرت كثيراً؟

لكم من المرات فكّر بالعودة إلى تكساس، لرؤيتها ورؤية كم أحدثت السنوات الست من تغيرات فيها، لكنه لم ينفذ ذلك ولا مرة. لقد تملكه الجبن وانغلق على نفسه في ولاية سياتل ليؤسس عمله ويبني مستقبله، موهماً نفسه بأن عائلة كيرني لم يعد لها أي وجود.

أما الآن، فلم يعد بإمكانه أن يوهم نفسه بشيء، لأنه موجود هنا ويوجّه نظراته إلى عيني جيني قارئاً فيهما الشك والعداء في أعماقها. فآلمه ذلك كثيراً آخذاً بالاعتبار كم من الخسارات القاسية كان قد تلقى لغاية الآن، ومن أفضل الأصدقاء، إلى الزوجة، وإلى الطفل الذي لم يكتب له الحياة. فبعد كل تلك الخسارات ما يهم لو خسر تقدير واحترام هذه المرأة؟

«لقد طلب مني والدك أن أساعده ببعض الأمور.» أجابها بذلك وقد أسعده بأن هناك حقائق يمكن أن يخبرها بها. ثم شعر بانقباض في داخله وقد توقع اللحظة التي قد تكون الكذبة من الضرورة لأن تقال، مع أنه يكره ويرفض أن يكذب على جيني.

تقدّم عند ذلك آرثر كيرني بكرسيه الكهربائي في اللحظة المناسبة وكأنه شعر بلحظات مايكل الحرجة، تحرّك كرسيه الكهربائي أحدث أصواتاً فوق السجاد، مما جعل جيني تحوّل نظرة قاسية نحو والدها، ثم حولتها من جديد إلى مايكل.

فقال آرثر بسرعة بسلطته المعهودة متجاهلاً نظرتها القاسية: «لقد طلبت من مايكل أن ينظر لي في بعض... الأمور. لأنني اكتشفت أنه لا يمكنني الوثوق بأحد من المقربين إلي.»

توقف عن الكلام قليلاً إلى إن وصل بكرسيه ووقف بها إلى جانب ابنته ثم تابع: «لذا طلبت من مايكل أن يحقق بنفسه في تلك الأمور. سيبقى هنا في هذه المزرعة لأنني وجدت أن ذلك مناسباً أكثر.»

حتى بالنسبة لمايكل، فقد وجد أن ذلك مناسباً أكثر، لكن

جيني أظهرت عدم ثقتها بالذي يجري، حتى انها لم تنظر إلى والدها خلال الحديث بل بقيت تحدّق بمايكل باشمئزاز. فشعر مايكل بشكوكها تجاهه وكأنها حقاً لا تصدق كلمة واحدة من ذلك الحديث.

لوّت شفتيها اشمئزازاً، فأدرك مايكل في وطأة هذا الصمت الرهيب بأنها كانت تعلم السبب الحقيقي الذي جاء به إلى هنا وبأنها تحتقره لذلك.

تسلّح مايكل عند ذلك بموقف الدفاع عن النفس لأنه إذا كان يريد فعلاً القيام بهذه المهمة التي أوكلها إليه والدها، فهو لن يقوى على مواجهتها أو تحمل نظرة الازدراء التي قد توجهها إليه في كل مرة.

لكن مهمته الآن، هي أن يجد الأسباب التي تدعو الأشخاص في الاختفاء عن الأنظار، ان أحبوا ذلك أم لم يحبوا، أحبّت هي أيضاً أم لم تحب.

على أية حال، فهو لن يسمح بأن يثير ذلك اهتمامه، فلقد سمحت لهما الظروف أن يكونا يوماً صديقين والآن لا، ولكنه سيجتاز هذه المرحلة القاسية كما اجتاز مراحل سابقة قاسية في حياته.

تكلمت جيني أخيراً وسألت والدها بنبرة مقتضبة: «هل أنك حقاً تعتقد بأنه هو التحري الخاص الذي تريده؟ وبأنه سيبقى هنا في منزلنا؟»

اندهش مايكل عندما وجد آرثر يبتسم وكأنه سعيد في أن يرى مدى غضب ابنته، ودهش أكثر عندما سمعه يجيبها قائلاً: «إنني حقاً أعتقد ذلك، إنه سيلازمنا يومياً بالساعات الأربع والعشرون لكل يوم.»

أدرك مايكل عند ذلك بأن آرثر يريد أن تعرف ابنته الحقيقة.

انها معركة الإرادة بين الوالد وابنته، وقد أرسل وراء مايكل ليكون بمثابة الورقة الرابحة في يده.

أضاف آرثر: «ولكن حتى أكون صادقاً أكثر، فإنه لن يبقى هنا طويلاً. لأن شركة التحريات الخاصة التي أسسها تعاقدت مع إحدى الشركات المخادعة على عمل ما. فعلى كل، لا أظن بأنه سيجد صعوبة في حل المسألة التي نتخبط فيها.»

لاحظ مايكل وبعد الكلمات التي أدلى بها آرثر، بأن خدا جيني تحترقان غضباً، فلقد كان وما زال وجهها الشاحب يعبر عن شيء يتفاعل في داخلها.

حوّلت نظرها إلى مايكل وقد بدا عليها الشك المطلق. ثم قالت: «آه، هل أنك حقاً جدير بهذا العمل ولهذه الدرجة؟»

حرّك كتفيه دون مبالاة ودون أن يظهر عليه أي انفعال بما قالته، مع أنه كان يعلم إلى أين تريد أن تصل بكلامها، أي إلى تلك الليلة المشؤومة، وكان في ذلك الوقت في بداية عمله كتحرٍ خاص حيث أن إهماله سبّب بمقتل كوين كيرني. ثم قال: «إنني لست سيئاً في هذا المضمار.»

«لست سيئاً؟ إذاً، لا بدّ وأنك تقدّمت كثيراً.»

حاول مايكل جهده للحفاظ على رباطة جأشه، ثم أخذ نفساً عميقاً قبل أن يجيب.

كان يعلم بأنه قد، يواجه هذا الأمر معها فيما لو عاد إلى تكساس، ولهذا فقط أعدّ الجواب مسبقاً.

فقال بهدوء: «نعم لقد تقدمت يا جيني، فقد مضت ستة أعوام.» هذا هو الواقع، فستة أعوام كافية جداً لتجعل من شاب يافع قليل الخبرة ينضج وينجح في مهنته، ولأن يتعلّم من أخطائه. إنها مدة كافية، أرهق خلالها أعصابه ليكوّن بها نفسه، فأصبح عالماً وخبيراً في هذه المهنة التي لا يستهان بها. ومدة كافية أيضاً ليدرك معنى الصداقة وكيف عليه أن يتجنب خسارتها.

لم تكلّف نفسها بالإجابة، بل ضحكت باستخفاف وانحنت نحو الدها تقبله قبلة المساء، ثم أخذت بالابتعاد وكأن مايكل غير موجود في ذلك المكان.

«ستة أعوام يا جيني، انه وقت طويل وكافٍ.» كرّر مايكل قوله بصوت أعلى كمن يدافع عن نفسه.

كانت أثناء ذلك قد وصلت إلى أولى درجات السلم، ولكنها استدارت فجأة لما قاله.

قالت بحدة: «ليس بالنسبة إلي.» ولمح الدموع تموج في عينيها الزرقاوين، فصدم في أعماقه لمظهرها هذا، وتساءل في نفسه كيف أنها لم تستطع نسيان ذلك حتى الآن. أمر مدهش حقاً، لأنه من ناحيته، نسي كيف يكون طعم البكاء خلال الستة أعوام المنصرمة.

وتابعت تقول بنبرة غير ثابتة لكن واضحة: «بالنسبة إلي، يبدو لي وكأن الأمر قد حدث البارحة فقط.»

قال والدها بقسوة: «هذا يكفي يا آنسة.» وذلك لأنه كان يرغب ويتوقع من ابنته أن تتوقف وتحسن التصرف. وكان مايكل قد اعتاد من آرثر فيما مضى على هذه النبرة الصارمة التي توقف جيني العذبة عند حدها.

لكنها لدهشة مايكل، لم يرمش لها جفن لكلام والدها. فأدرك كم أنها حقاً كبرت. ثم رفعت وجهها بشموخ وقالت بعينين ضيقتين والدموع ما زالت تتماوج فيهما: «كما وانني ما زلت أرى دم كوين على يديك.»

أمسك مايكل أنفاسه وقد صعق من قساوتها، ثم لا شعورياً منه مسح بيديه وكأنه يريد أن يزيل الدماء عنهما.

تدخل آرثر عند ذلك قائلاً بينما كان يضغط بيده على الكرسي الكهربائي: «جنيفر! عليك أن تعتذري في الحال.»

تدحرجت دمعتان على خديها وأجابت بهدوء: «لا، لا أعتقد بأنني سأفعل ذلك.»

ثم استدارت وصعدت السلالم بخطوات متثاقلة، دون أن تنظر إلى الوراء بالرغم من كلمات الغضب التي أخذ يردّدها والدها.

فقال مايكل عند ذلك بصوت منخفض بالكاد يمكن سماعه بين صراخ ونقمة آرثر: «هذا لا يهم، هذا لا يهم.»

لكن حتى لو سمع آرثر ما قاله مايكل لكان تجاهله ولازم التكلم بثورة وحدة، ثم أخذ يدفع بكرسيه الكهربائي إلى الأمام وكان من الواضح أنه لم يتقبل فقدان السيطرة على ابنته الصغرى التي كانت دائماً تطيعه وتنصاع لأومره.

بقي مايكل بمفرده في تلك القاعة الكبيرة. وكانت المدفأة ترسل بشعاعها ظلالاً فوق الجدران، فوقف هناك دون حراك والألم يعتصر قلبه، مع أن طبيعته كانت قد

أنبأته ومن خلال التجارب في حياته الصعبة أن يضع درعاً واقياً بينه وبين الآخرين وأن يدفع الألم بعيداً عنه، ويجبر نفسه على تحمل كل سيئة كبيرة كانت أم صغيرة قد تواجهه.

ربما، وهذا ما قاله لنفسه، إن الألم الذي عاناه سيلغي عاجلاً أم آجلاً الألم الذي هو سببه. وعند ذلك فقط سيتحرّر.

الفصل الثاني

طلب آرثر من مايكل أن ينزل في غرفة كوين القديمة الواقعة على بعد غرفة من غرفة جيني، أما الغرفة التي كانت تفصلهما، فكانت تخصّ كلار الغائبة عن المنزل في الوقت الحاضر.

وبالرغم من التعب الشديد الذي تشعر مما حصل بينها وبين شقيقتها في وقت مبكر من هذه الليلة، لم تستطع أن تخلد للنوم العميق. وسمعت وقع خطوات مايكل وهو يمرّ أمام باب غرفتها بعد ساعة من لقائها به. وبدا عليه متردّداً في دخول غرفة كوين، فقد سمعت سعاله الخفيف، أو ربما تنهده العميق، ثم دخل الغرفة وأقفل الباب بهدوء وخيّم على أرجاء المنزل السكون والصمت.

تمنّت لو أن ما وراء تردّده في الدخول إلى غرفة كوين مرده الخشية والخوف من استعمال مثل هذه الغرفة. ولكن شخصاً مثل مايكل وينترز لن تهتزّ مشاعره لأمور حساسة كهذه، أليس كذلك؟ على أية حال، فلو لم يكن كذلك، لما جاء أصلاً إلى هذا المكان.

لم يغمض لها جفن وبقيت في سريرها مفتحة العينين تفكر فيه كيف أنه يستعمل غرفة شقيقها بجرأة وتحدٍ. تجمّد الدم في عروقها والأفكار السوداء تتضارب في رأسها، ولكن ومن خلال هذه الأفكار، كان يتراءى لها كيف كان منذ ستة أعوام، عندما وقع نظره عليها.

hamasaaat

هذه المبادرة منه، كانت تحيرها في البداية ولا تدري لها معنى، لا بل تخيفها وكأنها ترى فيلماً من أفلام الرعب. ومع الوقت اعتادت على ذلك منه ولم تعد تخاف من تلك المبادرة، بل كان يسعدها أن يعيدها عليها.

ولكن بعد موت كوين، اختفت تلك السعادة التي كانت تغمرها من نظرات مايكل لها، وكانت في كل مرة تتذكره فيها، ترى بعين الخيال يديه الملطختين بدم شقيقها، فترتجف وتشعر بالاعياء الشديد.

جلست في السرير وأخذت تضغط براحتي يديها على صدغيها وكأنها تريد أن تصهر ذلك الشعور الجميل الذي كانت تشعر به تجاهه منذ ستة أعوام. وتساءلت كيف أنها ما زالت تذكر ذاك الشعور من الرجل الذي كان مسؤولاً عن موت كوين؟ فهل يمكن للمشاعر والأحساسيس أن تتغلب على الكآبة والحزن؟

توصلت أخيراً إلى حل واحد لا غير، إنها ومهما يكن، لن تسمح لنفسها بالاستسلام لأفكارها. فهي لم تعد تلك الفتاة البريئة التي كانت في يوم من الأيام في السابعة عشرة من عمرها، لا بل أصبحت امرأة ناضجة وعليها أن تنساه وتنسى حتى سبب وجوده في منزل والدها.

دفعت بوسادتها بعنف، إنه وفي الأعوام الماضية نسيت الغضب وما يترك وراءه خاصة بعدما لم ترَ صورة وجه مايكل.

لكن الغضب ما زال قائماً في داخلها، إنها تشعر بنيرانه المشتعلة تلهبها، كيف يجروء على العودة؟ إنه

يعلم بأنه غير مرحّب به هنا، خصوصاً أنها في آخر مرة شاهدته فيها، أطلقت العنان لثورتها ونقمتها عليه، وقد أوضحت له بأنها تلومه على مقتل كوين.. انها حتى لم تنس قط تلك الكلمات القاسية التي قذفته بها وكأنها كانت تحثه وتحرضه ليتقدم بإجابة واضحة وصريحة، وتحاول إجباره في الدفاع عن نفسه. لكنه لم يحاول الاعتراض على هجومها وعدائها، ولم يقدّم عذراً واحداً عن الذي حدث، بل سمح لها بالمقابل أن تقذف به باتهاماتها وهو يغرق بالصمت كالصخر الذي تعصف به الرياح الهوجاء التي تقلع الأخضر واليابس في طريقها. لذا فقد كان ذلك الصمت الذي تمسك به بطريقة ما، برهاناً أكيداً وثابتاً عليه، وفهمت من التزامه بالصمت بأنه مذنب والمذنب عادة لا يملك شيئاً للدفاع عن نفسه.

غمرها بعد ذلك شعور مفاجيء بالغيظ والحقد، إنها لن تقوى على احتمال اقتحام حياتهم من جديد، وأن يعيش في منزلها وفي غرفة كوين بالذات، كما انها لن تسمح له بأن يتدخل بحياة كلار الزوجية مهما قال أو عارض والدها على ذلك.

دفعت بالغطاء جانباً ونهضت من السرير لتتدثر بالروب ثم خرجت من الغرفة واتجهت إلى غرفة كوين لتدق بابها بعنف.

مرّت لحظات طويلة قبل أن يجيب مايكل، فتملكها هاجس في أن يكون قد استسلم للنوم العميق، فواصلت الدق بصبر وعناد.

فتح الباب أخيراً لتجد مايكل ما زال في ثياب السفر وقد

بدا على وجهه الاهتمام والقلق، والغرفة ما زالت مضاءة.

قطّب حاجبيه مندهشاً من حالتها المضطربة والثائرة، ثم قال: «جيني؟ ماذا هناك؟ هل أنت بخير؟»

أجابته بسخط ونفور: «لا، لست بخير.»

سألها بلطف: «ماذا هناك يا عزيزتي؟»

جاء صوته ضعيفاً، ربما لأنه كان يشعر بالنعاس فاضطربت وقد تذكرت كم من المرات ناداها بعزيزتي وبنفس النبرة المغمورة بالألفة والمودة ولكنها تذكرت أيضاً ان هذه عادة شبان ولاية تكساس ولم تكن بالتالي تعني شيئاً.

لكن والبرغم من ثقتها بأنها لا تعني شيئاً، شعرت من جديد بأنها ما زالت تلك الفتاة في السابعة عشر من عمرها تلك الحيوية والعفوية التي تتأثر بأية كلمة لطيفة تلقى على مسامعها.

تراجعت إلى الوراء لتبقى بعيدة عنه وقد شعرت بالقرف من نفسها.

ثم قالت بثبات: «ما بالك يا مايكل، ألا ترى أن وجودك هنا غير مستحب؟»

بدا الآن أكثر نشاطاً. تغلب على نعاسه واتكأ إلى الحائط وهو ينظر إليها متسائلاً.

ثم ابتسم ابتسامة واهية وقد رفع يده إلى جبينه قائلاً: «حقاً؟ ولكن لماذا؟»

أجابت بانفعال وبصوت عالٍ عكر صفو السكون في هذه القاعة: «تعلم جيداً لماذا، فلا عمل لديك هنا، كما وانك غير مرحّب بك.»

فقال بدماثة: «لا بل مرحب بي، ووالدك هو الذي دعاني.»

لم تستطع أن توقف نفسها عن الانفعال وقالت بغضب: «حسناً، ولكن أنا لم أدعك، وأريدك أن ترحل في الحال.» ثم توقفت قليلاً لتلتقط أنفاسها ومن بعدها تابعت قائلة بيأس: «أريدك أن تخرج من هذا المكان!»

«صه» أسكتها بنبرة قاسية وقد عيل صبره، ثم سحبها من يدها إلى الشرفة وقال: «ما بالك يا جيني، هل تريدين أن توقظي المنزل بمن فيه؟»

تفاجأت من حركته تلك وتطرّفت عيناها لا شعورياً، ثم سحبت يدها من يده بعنف قائلة: «لن أوقظ أحداً، فوالدي وممرضه ينامان في الطابق الأسفل، وأنت تعلم ذلك.»

أخذت ترتجف بشدة والغضب يهزها هزاً لكنها وعندما حاولت أن تصرخ من جديد، قاطعها قائلاً: «اهدأي فأنت ستوقظين حتى الذين يسكنون في الحي المقابل إذا لم تمسكي نفسك. اهدأي يا جيني وكلميني.»

فصاحت بغباء: «لا أريد أن أكلمك، بل أريدك أن تخرج حالاً.»

«لماذا؟»

أجابت بصوت يرتجف من الغضب: «لا تتغابى علي يا مايكل، كلانا نعرف سبب وجودك هنا، ولكن ألا ترى بأنك تتدخّل في أمور لا تعنيك على الإطلاق، أنت لا تعلم شيئاً عن هذا الموضوع.»

تذكرت كلار في هذه اللحظات ووحدتها في تلك الجزيرة

الموحشة، فتابعت تقول بصوت متقطع: «إنك فقط لا تفهم يا مايكل، ولا تعلم ما يجري من أمور هنا.»

تهدج صوتها وكادت أن تسترسل في البكاء لكنها تمكنت من السيطرة على انفعالها، فقال عند ذلك بلطف: «لا يا جيني، أنا لا أعرف شيئاً، ربما عليك أن تخبريني.»

احتارت في أمرها ولم تستطع الإجابة وبقيت للحظات على هذا الحال، فقال لها يحثها على البوح بمكنونات قلبها: «هيا يا عزيزتي جيني، دعيني أساعدك. هل كلار غارقة في مشكلة ما؟ وأين هي؟»

كادت أن تبوح له بالسر بعدما لمست الرقة والعذوبة في صوته، فقد كان فيما مضى صديقاً لها، لا بل صديقاً وفيّاً. فتذكرت كيف وجدها مرة تبكي قرب الإسطبل، تبكي لأن أحداً لم يدعوها إلى مرافقته في ركوب الخيل، كانت وقتها ما زالت في الخامسة عشر من عمرها ويعتبرها الجميع صغيرة لا تفقه شيئاً لكن ليست قبيحة كما كانت تظن، حتى أن ظنونها أخذتها لدرجة أنه ستبقى قبيحة حتى نهاية عمرها.

فأخذ يخفّف عنها ويطيب خاطرها حتى اقتنعت من كلامه وتوقفت عن البكاء.

وفي ذلك الوقت شعرت بميل إليه واطمئنان إلى جانبه من كلامه المعسول ولطفه. وتذكرت الفارق الشاسع بينه وبين شقيقها كوين الفتى المدلل الطائش.

كوين، ذكرى كوين الآن كانت كافية لأن تمنعها عن النطق بالكلمات التي ينتظرها منها مايكل. هل من المعقول أن تخبره بمكان كلار؟ لماذا؟ ألم يثبت مايكل قبل الآن كم هو

غير جدير بالثقة والعهود؟ ولقد خسرت شقيقها لعدم وفائه وعجزه. فهل من الممكن أن تصدق بأنه تغيّر فعلاً ويستطيع مساعدة كلار؟

تراجعت عن موقفها خجلة من نفسها لانخداعها السهل. انه ليس موجوداً هنا لأجل حمايتها أو حماية كلار، بل لأجل أن يفصح ويفشي السر.

«يسرك أن تعرف مني كل شيء، أليس كذلك؟» قالت ذلك ببرود وذكرى شقيقها عادت تغمر افكارها، فتألم قلبها لاستعمال مايكل كل شيء في غرفته التي لم تدخلها هي منذ وقت طويل.

ثم تابعت تقول ضاحكة بألم: «نعم، سوف أسهّل عليك الأمور لو أخبرتك بكل شيء، أليس كذلك؟ وعندها لن تضطر إلى القيام بأي مجهود على الإطلاق!»

ابتسم قائلاً: «لن أقوم بالكثير على أي حال يا جيني، فالعمل بسيط جداً.»

تراجعت خطوتين إلى الوراء قائلة: «جيد، إذاً، ربما بمقدورك القيام بهذه المهمة.»

بدا عليه الإهانة من كلامها، لكنها تجاهلت ذلك، فهي لا يهمها إذا كان يشعر المهانة أو لا، خاصة وأنها كانت تجرح وتهان دائماً، أما هو ولا مرة.

وقرّرت أن تعود إلى غرفتها وتبتعد عن الذكريات الجيدة والسيئة.

ضربت ساقها بالطاولة الصغيرة الموجودة على الشرفة من توترها سرعتها في الابتعاد عنه، فأنّت بصوت منخفض وانحنت قليلاً لتحفّ الموضع الذي أصيبت به وآلمها بشدة.

دهشت عندما سمعته يضحك بلطف للحادثة التي ألمّت بها.

«أليس من الأسهل لو انك تتحركين بهدوء وليس بهذه العصبية وكأنني أمنعك من ذلك؟» قال ذلك وهو يبتعد عن باب الشرفة، فشعرت فجأة كم أنها غبية عندما جعلته يلاحظ بأنها مضطربة وتريد الهروب منه بأية وسيلة.

«هل باعتقادك أنني خططت لاحتجازك في هذه الشرفة وأن اضربك بخرطوم المياه كي أجعلك تقرّين بالحقيقة كاملة؟» وحرّك رأسه مستخفاً بفعلتها تلك. فشعرت بالحرج وتمنّت لو أنه لا يلاحظ عليها ذلك، ثم مشت باعتداد مصطنع في ممر غرف النوم الطويل.

«في الحقيقة، أنا لم أجلب معي خرطوم المياه.» تابع يقول دون أن يحيد نظره عنها وكأنه يريدها أن تشعر بالحرج أكثر.

«لقد اعتقد والدك، أنه ربما قد تطلعيني على الأمر بنفسك.»

شعرت جيني بالغضب الشديد يعصف بعنف في داخلها وقد أدركت السبب من اختيار مايكل وينترز بالذات لهذه المهمة! وكانت قد اعتقدت بأن والدها آرثر قد أرسل بطلب مايكل لأن هذا الأخير مدين له. صحيح أن مايكل وينترز أصبح اليوم تحرٍ خاص ومشهور، لكنه ما زال يدين لعائلة كيرني كثيراً، لدرجة أنه لن يستطيع أن يوفيها، مهما وافق في تقديمه من خدمات لآرثر.

لكنها الآن ترى الأمر أكثر من ذلك، ففي الأيام الماضية، كان والدها يضايقها بالمداعبات الساخرة دون رحمة حول

تمسكها الشديد بمايكل، وكانت له عينا النسر بالنسبة لضعف الأشخاص الآخرين، لذا فلقد لاحظ ضعف جيني بسهولة ودون مشقة، وجاءت فرصته الآن لاستغلال ضعفها هذا ظنّاً منه بأن جيني الغبية ستضعف كعادتها أمام مايكل وتبوح له بالأسرار التي تخفيها في صدرها.

على كل، لقد كان والدها مخطئاً في ظنّه، فما زال لديه وقت طويل ليدرك ويفهم كم أن جيني تبدّلت وتغيرت، كذلك أيضاً مايكل وينترز.

رفعت رأسها بكبرياء ونظرت بقسوة في عينيه البنيتين، وكأنها أدركت أنه يفتش عما بقي من طيبة للفتاة الصغيرة وهي في نضوجها وفتنتها الآن.

ثم قالت وكأنها تعلن أمراً هاماً: «قل لوالدي، بأنه أخطأ في اعتقاده، وأنت من الأفضل لك أن ترسل في طلب خرطوم المياه.»

* * *

لم يكن الإرهاق عذراً وجيهاً للتأخر عن تناول طعام الفطور في تريبل كاي، لذا، مع كونها لم يغمض لها جفن قط ليلة البارحة، أجبرت جيني نفسها على النهوض من سريرها والنزول إلى الطابق الأسفل، ووضعت بعض المساحيق التجميلية على وجهها كي لا يظهر عليها الاعياء وقلة النوم. ومشت بخفة فهي لا تريد أن يعرف مايكل بالذات بأنها لم تنم الليلة الماضية.

وصلت إلى الفناء المخصص لتناول الطعام قبل والدها بقليل وتمكنت من شرب كوب من عصير البرتقال لتنعش

نفسها. فدخوله الغرفة كان بمثابة إعلان عن وصول أحد الزعماء المسيطرين والمستبدين. انه ومن بعد سبعة أسابيع على إصابته بالشلل وبالرغم من عجزه، يرفض أن يعامل ويخدم بداع من الشفقة أو لأنه مقعد لا يستطيع عمل شيء بمفرده.

وبهدوء ولطف شديدين، وهذا ما كان يضايقه أكثر، أخذ الممرّض يساعده في مكانه المعتاد من ذلك الفناء وقد أحضر معه صينية الفطور والقهوة أيضاً.

فصرخ في وجه الممرض المسكين: «هيا أسرع، فأنا لا أريد الطعام بارداً.»

لاحظت جيني شحوب وجه الممرض لذلك، وكادت أن تحتج مدافعة عنه ولكنها تراجعت وفضلت السكوت. إن والدها والحق يقال ظالم ومستبد، لقد جيء بأربعة ممرضين منذ سبعة أسابيع ويبدو أن هذا الممرض سيهرب أيضاً ويجيء بالخامس قريباً.

ثم أخذ يتمتم بغضب: «إن الطعام الساخن وكما هو معروف يجب تناوله ساخناً.»

تورّد وجه الممرض من عوامل مختلفة، لكنه لازم الصمت بينما اجتاحت جيني ثورة شديدة في داخلها. ولكنها ضغطت على أعصابها تجنباً من قول شيء قد تندم عليه، مع أنها كانت غاضبة منه لارساله في طلب مايكل، ذلك لأنها عرفت وبعد مشاهدتها مشاجرة كلار وكوين معه، بأن معارضته لا يزيده إلا ثورة وغضباً. وتعلمت أن تعارضه بهدوء وبطريق غير مباشر وهو في النهاية الطريق الأكثر أماناً وسلاماً.

قالت بعد ذلك بهدوء وفي يدها دفتر الرسائل الذي كانت تجلبه معها دائماً في مثل هذا الوقت: «أبي، قلت إن عليك أن تملي عليّ بعض الرسائل المهمة لهذا اليوم، ألا يجدر بنا أن نبدأ بها؟»

نظر إليها بدهشة للحظة ثم طأطأ برأسه، وتبدلت نظرة الدهشة إلى نظرة مستبد متسلط وقال: «حقاً، هذا صحيح، إحدى الرسائل لذلك الحقير ديفند ورمز، والذي أردت أن أوبخه أشدّ التوبيخ، أليس كذلك؟»

سألته جيني ببراءة: «حقاً؟»

«طبعاً.» أكّد لها بحيوية ونشاط، ثم أومأ للممرض بأن يتنحى جانباً وأخذ يلتهم طعامه بشهية. ابتعد الممرض وهو يبتسم لجيني ابتسامة شكر وعرفان، فابتسمت له بسرعة بالمقابل كي لا يلاحظ والدها ذلك.

رشف آرثر قليلاً من القهوة وقال: «حسناً، لنبدأ إلى السيد هوارد ديفند ورمز ولا تنعتيه بالعزيز بل بالحقير، كيف بإمكانك أن تفقد لائحة حساب ولاية مونتانا بأكملها؟ إذا كنت لا تستطيع أن تعيد تلك اللائحة خلال أربع وعشرون ساعة، أحزم أمتعتك واخرج فوراً من شركة كيرني، فأنا لا أحتاج إلى مساعدين فاشلين، لكنني أحتاج إلى ولاية مونتانا.»

التهم بعد ذلك آخر قطعة طعام ثم قال: «حسناً، أعيدي قراءة هذه الرسالة علي.»

أخذت جيني تعيد قراءة الرسالة بهدوء قائلة: «عزيزي السيد هوارد،» توقفت قليلاً بعدما سمعته يتمتم بثورة بكلمات مختلفة، لكنها لم ترفع رأسها بل تابعت تتلو الرسالة

التي كتبتها على طريقتها: «آلمني أن أسمع بأن لائحة حساب مدرسة ولاية مونتانا قد فقدت، ولكنني واثق بأنك ستعمل على معالجة هذا الموضوع وأرجوك أن تحاول ذلك في مهلة اسبوعين، وأنا أتوقع منك تقريراً بذلك.»

خيم صمت رهيب في ذلك الفناء، حتى أن الممرض الذي كان يقف بعيداً عنهما ينتظر أوامر آرثر، حبس أنفاسه من رهبة الموقف وقد توجس خوفاً لأية كارثة من ذلك.

رفعت جيني رأسها أخيراً وتابعت قائلة: «المخلص لك آرثر كيرني رئيس مجلس إدارة شركة كيرني.» تمتمت بهذه الكلمات وهي تشعر بالارتياح لأن صوتها لم يخنها بالرغم من اضطرابها الداخلي.

التقت نظراتها بنظرات والدها الباردة، إنها لم تكن المرة الأولى التي تغير فيها من كلام والدها، وكانت تعلم دائماً ردة فعله والتي تتوقف على المزاج الذي يكون عليه عادة. فلو كان مزاجه متعكراً وثائراً، قد يتمكن من إسقاط سقف الفناء، أما إذا كان مزاجه هادئاً سموحاً فهو قد يضحك لها قائلاً بأنها تشبه والدتها في اختيار الكلمات اللطيفة.

لكن ولسوء حظها، لم تر أية علامة من علامات السرور عليه هذا الصباح. فقد غدت شفتاه ترتجفان بغضب ونظراته أكثر برودة، وأدركت أنه يفتش عن الكلمات المناسبة ليصبها عليها فيما لو أرادت أن تدافع عن نفسها. فشعرت بانقباض في صدرها بينما أخذ قلبها يخفق بسرعة هائلة من شدة خوفها.

إنها تكره طريقته العنيفة تلك ولا توافق عليها، إنها قد

تفعل أي شيء لإرضاء والدها، إنما لا ولن تتخلى عن هوارد ديفند ورمز، الرجل الذي يعمل بإخلاص وجهد في الشركة والذي لديه ثلاثة أولاد يعيلهم.

لكن، تلاشى الغضب فجأة من عيني آرثر كيرني، ليحل محله ابتسامة متكلفه حول وجهه ورضى تام. احتارت جيني من تبدله المفاجيء إلى أن أدركت بأن هناك شخص آخر في الفناء انضمّ إليهما وقد غفل بأنه قطع عاصفة كادت أن تهب، إنه مايكل وينترز.

لاحظت أيضاً أن مايكل لم يقطع تلك العاصفة بل بدّدها، فقد بدأ آرثر كيرني يقهقه ضاحكاً، وعرفت جيني السبب لذلك. فهو في الواقع لا يهمه أمر هوارد ديفند ورمز، وقد رأى أن الصدام مع جيني أمر تافه يجب التخلي عنه فالحرب الحقيقة هي مع شقيقتها كلار. ومن الواضح أيضاً، أن آرثر كيرني يثق فعلاً بأن مايكل سيساعده على ربح هذه الحرب.

قال وهو ما زال يضحك: «صباح الخير يا مايكل، هل نمت جيداً؟» ثم نظر إلى جيني بطرف عينيه.

أجاب مايكل بأدب وهو يسكب لنفسه فنجاناً من القهوة: «نعم يا سيدي، وأنت؟»

فقال آرثر: «لا أبداً، خاصة في هذه الأيام، هذا لأنني أعيش مع هذه الابنة الناكرة للجميل. تعرف ماذا يقال عن الابنة الناكرة للجميل، أليس كذلك يا مايكل؟»

أجاب مايكل وقد سحب كرسياً ليجلس عليه: «شيء ما يختص بالأفعى الخبيثة، لكن هذا لا يبدو أبداً على جيني.»

تجاهلت جيني ابتسامة مايكل لها، فقد بدا عليه هذا الصباح بأنه يريد أن يعقد هدنة معها. كما أنه يريد أن ينهي هذه الأيام معهما بنوم هادىء في سرير كوين وأن ينصت بصفاء بال إلى حديثهما حول مائدة الفطور. وأيضاً وأيضاً، يريد أن يشعر وكأنه في منزله وأحد أفراد العائلة حتى بعد مرور تلك الأعوام المنصرمة.

ولكنه ليس كذلك، ولشدة انفعالها ضغطت على دفتر الرسائل، فانزاحت منه ورقة. ان ابن هذا المنزل قد مات، وهذا الرجل الذي يجلس على كرسي كوين اليوم والذي يلتهم قطعة من الخبز المحمص بلا مبالاة، هو المسؤول الوحيد عن موته فعليها أن لا تنسى هذا الأمر.

تابع آرثر يقول باعتداد وزهو: «ان جيني تقوم بدور الناقد والمراقب على رسائلي، فقلبها الرقيق يقول لها بأنني أقسو كثيراً على أحد الموظفين لدي.»

ابتسم مايكل من جديد قائلاً: «هذه هي عادة جيني دائماً، فهل كانت محقة بنقدها؟»

ضحك آرثر بصوت عالٍ ثم ربت على كتف مايكل قائلاً: «آه، على الأرجع أنها محقة.» وجاء قوله صريحاً وغير آسف كلياً.

قول صريح كأنما يقوله والد لابنه، جعل صدر جيني ينقبض انقباضاً شديداً. فلطالما كان آرثر معجباً بمايكل، وكان في أكثر الأحيان يقول لكوين والغضب يهزه هزاً، أن يكون مثل مايكل بمسؤوليته وبضميره الحي. وعندما وصلت بأفكارها إلى هذا الحد، تألمت متسائلة عن الذي كان يتحمل المسؤولية، ومن هو الذي دفع ثمن هذه المسؤولية.

توجه آرثر بكلامه الآن لجيني قائلاً: «قولي ما طلب لك قوله، فأنا لا يهمني أمر ديفند ورمز ولا مونتانا أيضاً. لأنني سأوفر قوتي وافكاري للمسائل التي تهمني أكثر.»

اتسعت ابتسامته بخبث ومكر ثم تابع يقول: «مثل وجود مايكل هنا، فزيارته تهمني، والمهمة التي يقوم بها لأجلي تهمني أيضاً. وبالمناسبة، أريد منك أن ترافقيه إلى شركة كيرني ليباشر عمله في مكتبك، خصوصاً وأنك تمضين معظم أوقاتك في المنزل الآن.»

حاولت جيني الاعتراض، لكنها فضلت الصمت قائلة في نفسها بأنها لن تسمح لوالدها بهذا الرضاء والارتياح.

يريده أن يستعمل مكتبها؟ فكرة من تكون هذه؟ هل حزر مايكل بأن كلار تخشى الاتصال بها في المزرعة، ففضلت عوضاً عن ذلك الاتصال بها في مكتبها في الشركة؟ من المؤكد أنها فكرة مايكل وتدبير منه ليقطع أي اتصال ممكن بين الشقيقتين.

حولت أفكارها إلى الأشياء التي على طاولة مكتبها، متسائلة لو أنها قد تكون تركت أي ملاحظات ترشده إلى مكان وجود كلار خاصة وأنها كانت غير معتادة على أن تنخدع من الآخرين، لذا عليها أن تتخذ الحيطة والحذر.

تابع آرثر يقول: «امضي هذا النهار معه وقدّميه إلى موظفي الشركة واخرجا معاً لتناول طعام الغداء.» ثم أخذ يتحرك نحو ممرضه متابعاً: «والعشاء أيضاً، فأنا لا أريد مشاهدتكما طوال هذا اليوم، هل هذا مفهوم؟»

أجابت جيني بثبات: «نعم، سأفعل يا أبي ما تطلبه مني وحتى بصورة أفضل مما تتوقع.»

«جيد، يرضيني كثيراً عندما أرى أن الأشخاص يفهمون ما أعنيه تماماً.» ثم أخذ يشق طريقه بكرسيه الكهربائي إلى الأمام باتجاه الباب وبسرعة، فاضطر الممرض بأن يكون أسرع منه ليفتح الباب المقفل قبل أن يصدمه ويحطمه ليخرج منه.

الفصل الثالث

تمنّع مايكل من التثاؤب عندما رمى بثقله فوق المقعد الجلدي لسيارة جيني واشعل محركها ثم ضغط على دواسة البنزين وانطلق بها. استغرقت رحلتهما هذه إلى هيوستن عشرون دقيقة حيث كان يقع مبنى شركة كيرني والذي يحتل مركزاً تجارياً هاماً في قلب البلدة.

أخذ يتساءل مرة ثانية عن السبب الذي الحت فيه جيني لاستعمال سيارة واحدة. فعندما شارفت الساعة على الحادية عشرة هذا الصباح، كانت قد انتهت من كتابة رسائل والدها، ثم سلمت مفتاح سيارتها لمايكل قائلة له: «سنذهب معاً، وانت تستلم قيادة السيارة.»

دهش من ذلك وامتلأ رأسه بالشكوك، انها ومن المؤكد لا ترمي من وراء ذلك إلى لغط في الحديث معه. وخلال الطريق، سألها سؤالين وبطريقة مهذبة عن التغيرات المستحدثة في المنطقة، فاجابت على كلي السؤالين باقتضاب وجفاف وباختصار بكلمة نعم ولا، دون ان تضيف أي كلمة أخرى.

توقف بعد ذلك عن طرح الاسئلة عليها، فقريباً سيضطران إلى الكلام معاً، كما انه الآن يشعر بالتعب الشديد وعليه ان يركز اهتمامه على القيادة لأن عينيه مثقلتين، لقد كذب على آرثر عندما قال له بأنه تمتع بنوم عميق وهو في الحقيقة لم يغمض له جفن.

ويا لها من ليلة رهيبة، خاصة وان الذكريات كانت تملأ كل زاوية من غرفة كوين مما جعل النوم مستحيلاً عليه، فثياب كوين كانت لا تزال في خزانة ملابسه، وعندما فتحها مايكل، فاحت منها عطر كوين الذي كان يستعمله، فامتلأت في رئتيه بقسوة لدرجة انه كاد يختنق منه واصبحت عملية التنفس شبه مستحيلة.

كما وانه بعد ذلك جاءت جيني اليه حانقة وكأنها عدوته اللدودة. لذا فبعد كل ذلك، لم ينم وهواجس شتى تروح وتجيء في رأسه.

«إذاً، سمعت بأنك تزوجت.»

جاءت كلمات جيني بصورة مفاجئة وبنبرة رسمية اكثر مما ينبغي، صدم منها مايكل وانتشلته من افكاره، فتساءل من اين عرفت ذلك؟ مع ان زواجه تم بسرعة وبسرية دون اية ضجة، حتى انه لم يدع احداً إليه، وبعده اسرع بالانتقال إلى ولاية سياتل.

«نعم.» اجاب بنفس الطريقة المقتضبة التي اجابته بها عندما سألها عن التغيرات المستحدثة في هذه البلدة والتي ابدت فيها عدم الاهتمام بالحديث عنها. ولهذا فها هو يبادلها بالمثل ولا يهتم في ان يتحدث عن زواجه.

صمتت ولم تضف شيئاً، ولكن افكاره وتساؤلاته كانت تضج في رأسه، من الذي اخبرها بذلك يا ترى؟ لا بد وانها عرفت ذلك من شخص ما، لكن من؟ ان آرثر لم يخبرها، فقد تحقق من ذلك قبل الآن عندما شرح آرثر الأمر بطريقة يعتذر فيها عن تصرفات جيني، بأنها ومنذ

موت كوين، رفضت ان تسمح لأي كان ان يأتي على ذكر مايكل. اذاً من اخبرها؟ وحصر تفكيره بهذا الأمر دون ان يظهر شيء على ملامح وجهه أو على طريقة قيادته للسيارة وتابع يسأل نفسه، من يكون الذي اخبرها بأمر زواجه؟

هل يكون اليكس؟ وكان اليكس تود صديقاً مقرباً للعائلة وآخر شخص ممن تم التحقيق معه في مقتل كوين، كما وانه كان مثل عائلة كيرني يتمتع بالثراء والغنى. انه لم يعجب يوماً بمايكل وكان يعتبره مملاً والكلام معه غير ممتع. كان اليكس من النوع الذي يسخر من الزواج القسري وبأنه يمكن لأي كان ان يتجنبه بأية وسيلة.

ولكن، اصبح اليكس زوجاً بعد وقت قليل من زواج مايكل، وقد تزوج من كلار كيرني الجذابة، والتي تشبه والدتها إلى حد كبير.

وعاشت كلار مع زوجها اليكس في نيويورك، حيث افتتح عدداً من المطاعم، وكان آرثر، قد اخبر مايكل بأن الزوجين لم يجيئا إلى تكساس كثيراً منذ زواجهما، والمضحك والمبكي في هذا الأمر، انه كيف تفرق الجميع منذ تلك الحادثة المشؤومة في تلك الليلة التي مات فيها كوين ليتوزعوا في مختلف انحاء العالم، الجميع ماعدا جيني والتي تمكنت بالبراءة التي تتمتع بها، ان تواجه ولكن بخسارة، الذكريات المؤلمة.

نظر اليها نظرة خاطفة، وكأنه يحاول ان يحصل على شيء آخر قد سمعته عنه، ولكن صورة وجهها الجانبية، كانت تدل على الهدوء وعدم الانفعال.

ثم قالت دون ان تتبدل ملامح وجهها: «تزوجت ممن؟ من بروك.»

فهم من نبرة صوتها الساخرة، الذي كانت على وشك ان تقوله عن زواجه من بروك الفتاة الجميلة والجريئة، ولطالما كوين واليكس كانا يسخران من خجل جيني بالنسبة لجرأة بروك، وكانت عندها جيني وهي الفتاة في السابعة عشر من عمرها، تشعر بالغيرة العمياء منها.

الفتاة الجميلة والجريئة، شعر مايكل بالارتياح لأنها لم تنطق بتلك الكلمات، مما يؤكد على حسن تربيتها واخلاقها.

تساءل وفي لحظة جبن وجيزة، عن ردة الفعل عند جيني لو انه لا يجيبها، فهل يا ترى ستعاود السؤال؟ ام انها ستتناسى أمره وتستمر تنظر امامها على طول الطريق؟ ربما لو انه يتظاهر بعدم سماعه ذلك السؤال قد يتلاشى وكأنه لم يطرح قط.

لكنه قرر اخيراً ان يتصرف بطبيعية وان يجيبها على سؤالها، فهو ليس جبانا إلى هذا الحد.

«نعم تزوجت من بروك.» قال ذلك دون ان ينظر اليها، متظاهراً بأنه يركز كل اهتمامه على الطريق امامه.

«اذاً كان الأمر صحيحاً.» تمتمت وكأنها تكلم نفسها، ثم رفعت رأسها وتابعت بحدة: «اين تكون زوجتك في هذه اللحظة؟ برأيك ماذ تعتقد من مجيئك المفاجيء إلى تكساس من دونها؟»

لم يستطع الاجابة في الحال لشدة دهشته، وشعر بانقباض مؤلم في صدره لا يوازي شيئاً من الألم الذي مزقه

تمزيقاً في يوم من الايام، وهذا ما ذكره بأن الألم لا يزال قائماً في نفسه لا يريد الانسلاخ عنه.

اجابها بعد ذلك بهدوء وقد بان التأثر في نبرة صوته: «لقد ماتت بروك يا جيني، ماتت في حادث سيارة.»

انزعجت جيني لهذا الخبر وشحب لون وجهها تأثراً لأنها لم تتوقع هذه المعلومات منه. ونظرت اليه مباشرة لأول مرة منذ ان استقلا السيارة وكانت عيناها تنطقان بالصدمة من كلامه. فمن الواضح انها لم تكن تعرف ذلك، ربما أيضاً، لا احد في تكساس عرف بهذا الأمر، عدا والدها آرثر الذي قد يكون قد عرف ذلك ليلة البارحة.

لقد كان مايكل يأمل قبل وفاة زوجته ان يبدأ حياته من جديد في سياتل بعد ان انقطع كلياً عن عائلة كيرني وعن اليكس وعن ولاية تكساس باكملها وعن أي شيء قد يذكره بكوين وكم كان غبياً عندما اعتقد ان الايام ستنسيه تلك الذكريات.

«مايكل، انني جداً آسفة.» قالت جيني ذلك مواسية لمصابه الأليم، ولمح من طرف عينيه بأنها رفعت يدها وكأنها تريد ان تربت بها على يده لشدة تأثرها، لكنها لم تنفذ ذلك واعادت يدها إلى مكانها.

«انني آسفة جداً.» كررت قولها، ولأن جيني نفسها نطقت بهذه الكلمات، صدقها لأنه يعرفها ويعرف نبلها وحسن اخلاقها، وشعر بأنه لا يستحق هذه الشفقة منها، ثم تابعت: «متى حصلت تلك الحادثة؟»

دفع بالسيارة اكثر من حدود السرعة القانونية وقال: «منذ وقت طويل، منذ ستة اعوام تقريباً.»

عادت تنظر إلى الطريق امامها، قالت وهي تشعر بالغصة والارتباك معاً: «هذا الوقت الطويل؟ اذاً... اذاً لم يستمر زواجك سوى...»

«اربعة اشهر.» هذا كل ما استطاع قوله، لكن في الواقع لم يستمر زواجه سوى أربعة اشهر وعشرة ايام واحدى عشر ساعة، انه والحق يقال ليس بالوقت الكافي لزوجين في بداية حياتهما الزوجية.

فقالت جيني بنبرة واضحة ومسموعة: «لكن هذا فقط بعد بضعة اشهر من وفاة كوين.»

طأطأ برأسه بالايجاب وقد تذكر كم كان صعباً ومؤلماً ذلك عليه، لكنه الآن وجد مخرجاً ليأسه من ذنبه لموت كوين انما ليرجعه للمأساة من موت بروك، فكلتا الحادثتين كادتا ان توقعانه في مهلكة مميتة.

«لقد كانت حقاً سنة سيئة بالنسبة إلي.» قال مايكل ذلك محاولاً قصارى جهده ان يتكلم بهدوء اعصاب دون ان يسمح لنبرة صوته ان تظهر كم كان الأمر رهيباً عليه، فلا كائن حي في العالم ادرك وقتئذٍ كم شعر بالخسارة والقنوط في نفسه خلال ذلك الشهر.

شهر كامل بأيامه الثلاثين قضاهم دون ان يعرف النوم سبيلاً إلى عينيه، ثلاثون ليلة والاوهام المخيفة ترافقه دوماً ممتزجة بالذنب والحزن. اعتقد وقتها بأنه لن تكتب له الحياة وهذه الساعات السيئة في حياته تعصف به كهبوب الريح. لكن بطريقة أو بأخرى، تمكن من التغلب على كل ذلك وعاهد نفسه بألا يسمح لأحد بأن يعرف بالمحنة التي مر بها خاصة جينيفر كيري.

لا بد وانها سمعت شيئاً في نبرة صوته، لأنه عندما التفت نحوها، وجدها تحدق به.

حملت عيناها توهجاً وتساؤلاً حين قالت: «اعتقد اذا لم يخدعني احساسي بانك لم تكن تهتم ببروك، عرفت منك ذلك...» توقفت قليلاً عن الكلام، وقد يلاحظ كم كان من الصعب عليها ان تتكلم في هذا الموضوع، لكنها لم يثن عن عزمها شيء، فتنحنحت لتتابع بجرأة وكأنها تواجه عدواً: «اسمع، انا لم اكن ساذجة كما كنت تظن، لقد لاحظت بأنك تميل اليها وتجذبك، ولكنني والذي لم اتوقعه انك قد تحبها.»

اضطربت حناياه وتسارعت نبضات قلبه، وهتف شيء في داخله يدعوها بل يتوسل اليها ان تتوقف عن اسئلتها.

ماذا بامكانه ان يجيب حول تلك الاسئلة، خاصة فيما يتعلق بتلك الكلمة «الحب»، هذه الكلمة القليلة الحروف والتي تقيد قلب الانسان لا بل حياته بسلاسل حديدية فتزهق روحه وتقلب كيانه لدرجة انه قد لا يستطيع التمييز بين اللون الأبيض والاسود...

لكن ومع ان عينيها حملتا تساؤلات أخرى، عجز لسانها عن طرحها، لذا فإنه لم يجب بكلمة واحدة تشفي غليلها، وكيف يمكنه ذلك؟ فهي من المؤكد لن تفهم عليه، لأنه هو ذاته لم يفهم ما قد حدث.

تابع تحديقه في الطريق امامه التي فرشت على جانبيها ببساط من مختلف الازهار البرية والتي تكللها سماء زرقاء خالية من الغيوم. كانت افكاره محيرة ومشوشة حول

ذكرياته المؤلمة في كل ما يتعلق ببروك وجيني وكوين وما كان لهم في تكساس.

تكساس... الولاية الجميلة بازهارها اليانعة وخضارها الدائم وطقسها البديع والتي تركها ليعيش سنوات عديدة في تلال ولاية سياتل الكثيرة الضباب، لكنه لم ينسَ تكساس يوماً لدرجة انها اصبحت في رأسه هاجساً من الهواجس، حتى بات يعتقد بل يثق انه وفي تلك الاماكن المترامية الاطراف حيث الحقول الخضراء وغابات الصنوبر الكثيفة، بامكانه ان يجد يوماً الغفران الذي يحتاجه.

حول نظره إلى جيني ووجدها ماتزال تحدّق به بعينين ضيقتين وكأنها ادركت بأن لا نية عنده في الاجابة على تساؤلاتها، لكن من الواضح فهمت ما يعني بسكوته، والشفقة التي اظهرتها تجاهه ماتت في لحظتها.

الغفران؟ ترددت اصداء هذه الكلمة في رأسه، الغفران من ماذا ولماذا؟ فسخر من نفسه ومن سذاجته.

وصلا اخيراً إلى مبنى شركة كيرني، وكلاهما صامتين، لكنها وجدت نفسها مضطرة للكلام لترشده إلى الطريق التي تؤدي إلى موقف الشركة تحت الأرض.

اسرعت تخرج من السيارة قبل ان يطفىء محركها وكأنها غطاس انتهى من جولته الطويلة تحت المياه ويريد الاسراع في الصعود إلى سطحها، وتوجهت رأساً إلى المصعد دون ان تلتفت وراءها لتتأكد من انه يلحق بها.

لم يكترث من تصرفاتها تلك، ووجد انه من الاسهل عليه ان يصمت من ان تواجهه باسئلتها. هذا بالاضافة، ان صمتها جعله يبعد عن افكاره تلك الذكريات المؤلمة ولو لبعض الوقت. فتنهد بارتياح متذكراً بان وجوده الآن هنا ليس من اجل الشفقة أو الغفران، أو لأن يبحث في حوادث الماضي، انما من اجل مهمة كلف بها وعليه انجازها.

وصل بهما المصعد إلى الطابق الثالث وكأنه يقل غريبين لا يعرف احدهما الآخر، فخرجت منه، لحق بها بصمت إلى باب زجاجي دفعته بقوة ليدخلا منه.

لقد اخبره آرثر الليلة الماضية، وبفخر بأن جيني تترأس هذا القسم من الشركة وبأنها عنصر مهم في شركة كيرني، ولاحظ مايكل كم ان هذا القسم كبير، فهناك على الأقل خمسون مكتب في المساحة التي دخلاها بالاضافة إلى عشرة غرف مكاتب خاصة.

«آه، آنسة كيرني، يسعدني ان أراك هنا!» اسرعت موظفة شابة إلى جيني تلوح بيدها بورقة دونت عليها عدة اتصالات هاتفية، ثم تابعت: «لقد اتصل السيد فايت صاحب شركة كيو لعدة مرات قائلاً ان الاسلوب متضارب ومتعارض وهو في غاية الغضب والانزعاج، لا تدرين كم كان الأمر مرعباً وانا اتكلم معه.»

جاء رد جيني ممتازاً مما ادهش مايكل حين قالت بهدوء: «شكراً لك ستيفاني، ساتصل به حالاً، من المؤكد انك عانيت الأمرين هذا الصباح وهو يتصل بك كل مرة، لكن هكذا هو طبعه وليس بامكاننا ان نغيره، اليس كذلك؟ لابد وانه

حدث خلل في مشاريعه ويمكننا ان نحله له بدقائق، هل بامكانك ان تأتين بفنجان من القهوة، فقليل منها قد يساعدني على التفاهم معه.»

«طبعاً، ايتها الرئيسة.» قالت ستيفاني ذلك مبتسمة ابتسامة واسعة وكأن حملاً ثقيلاً قد ازيح عن صدرها، ثم حولت نظرها إلى مايكل متسائلة.

فهمت جيني ما ترمي من نظراتها المتسائلة فقالت: «احضري فنجانين من القهوة من فضلك.» لكنها لم تضف شيئاً آخر مثل ان تعرف ستيفاني بمايكل وعن سبب وجوده في هذه الشركة، فابتعدت السكرتيرة عنهما وقد شعرت بخيبة امل في داخلها.

راقب مايكل وهو يبتسم طريقة جيني في القاء نظراتها السريعة على الاتصالات الهاتفية التي تلقتها في غيابها، وكيف بعد ذلك رمتها جميعاً في سلة المهملات عدا واحدة. وتساءل في نفسه، هل هي يا ترى نفس الفتاة الصغيرة التي بكت بكاءاً مراً في يوم من الأيام لأنه لم يرافقها احدهم في نزهة لركوب الخيل؟

تقدمت اخيراً في اتجاه غرفة مكتبها والموظفون كل على حدة يوقفها ليكلمها، فهي ومنذ ان اصيب والدها بالشلل لا تأتي إلى الشركة سوى مرة في الاسبوع وهذا وقت غير كافٍ وقد يعيق سير امور العمل.

تجاهلت عن تعمد منها ارشادات والدها لها ولم تعرف مايكل على احدٍ من الموظفين، ولا حتى تلك المرأة التي رمته بنظرة تلح فيها للتعارف على بعضهما.

لكن وفيما لو كانت نية جيني في ان تجعله يشعر

بعدم الارتياح، فهي حتماً قد فشلت في ذلك، لأنه لم يكن يرغب في التعرف على احد، حتى اللواتي ابدين اعجاباً به، لم يثرن اي اهتمام من اهتماماته، ذلك لأن همه الوحيد كان جيني.

دخلت غرفة مكتبها ونظراته لا تفارقها، جلست خلف الطاولة واخذت تدرس الأوراق التي تكومت عليها متجاهلة وجوده كلياً، بينما وقف هو عند باب الغرفة يتفحص محتوياتها وابدى في داخله اعجابه باناقة اثاثها المريح والذي يشعر المرء وكأنه في منزله.

ادرك فجأة بأنه ومنذ ست سنوات طوال وهو غارق في عمله، كان يتذكر جيني وهي في عمر السابعة عشر دون ان يأخذ في الحسبان بأنها كبرت وتبدلت من الفتاة الساذجة إلى المرأة العملية التي تحسن ادارة الاعمال الادارية.

لذا عليه الآن ان يعاود النظر في خطته، على كلٍ، هناك خيارين امامه كي تنجح مهمته، اما ان يقنع جيني في ان تثق به، أو ان يلحق بها إلى مخبأ كلار فيما لو لم يتمكن من اقناعها. وخلال يومين على الاكثر ينتهي من هذا الأمر ويعود إلى عمله، لأنه يعرف بأن جيني بريئة جداً ولا تجيد اخفاء الاسرار جيداً.

صحيح انها غضبت بشدة منه ليلة البارحة، لكن ذلك لم يثر فيه أي هاجس من الفشل مهمته، وشعر بانقباض في صدره وهو يراقب جيني البارعة والذكية في ادارة اعمالها، ثم تذكر كم كان معجباً بها في سن المراهقة وكم يفتقد لها الآن وهي في سن النضوج.

سألها: «اتسمحين لي بالجلوس؟ ودون ان ينتظر جواباً منها، جلس على كرسي قريب متجاهلاً ما بدر منها من انزعاج لكلامه.

الفصل الرابع

حاولت جيني قصارى جهدها كي لا ترتجف اصابع يدها وهي تفتش عن قصاصة زهرية من بين اكوام الورق التي تكدست فوق طاولة مكتبها منذ الاسبوع الماضي، فقد كتبت على القصاصة اسم الكوخ الذي تختبىء فيه كلار ورقم هاتفها، وعليها ان تجده بسرعة قبل ان يلاحظ مايكل بأنها تبحث عن شيء ما.

لكن اين قد تكون تلك القصاصة الزهرية اللون؟ فهناك العديد العديد من القصاصات الزهرية اللون، وشعرت بنظرات مايكل عليها وهو يبتسم ابتسامة واسعة، وهذا مما دفعها لأن تجبر نفسها على ان لا ترفع نظرها إليه.

غمرها شعور بالارتجاف والخوف يقبضان على صدرها ويضيقان انفاسها، ذلك لأنه من المؤكد انه لن يتركها بمفردها ولا للحظة في هذا النهار وسيكون ذهابها إلى الجزيرة عملاً مستحيلاً.

تمنت وفي غمرة مشاعرها تلك، لو انها اكبر سناً مما هي عليه الآن، واكثر شجاعة، وتتمتع بافكار ذكية تخلصها من عينيه المراقبتين... لكان بامكان كلار شقيقتها ان تتخلص منه ببراعة، لو كانت هي من تجلس هنا، فقد تعودت كلار المخاطبة بطريقة وقحة، وليست معتدلة وهادئة مثل جيني.

لكنها لم تتمكن حتى من التفكير بأي شيء لئيم أو فظ كي

تواجهه به، لذا قررت ان تضغط على اعصابها واتخذت موقفاً طبيعياً امامه.

لم يتكلم هو الآخر، فتابعت تتظاهر بترتيب الأوراق التي امامها بينما كان هو مايزال يراقب كل حركة تقوم بها لعلها تخطىء بشيء ويكشف عندها سر مخبأ شقيقتها كلار وظروفها الغامضة.

وضعت اخيراً رأسها بين يديها وقد يأست من العثور على تلك القصاصة الزهرية. ولكن بعد ذلك، حصل امران انقذاها من الورطة التي تخوضها، فقد وجدت القصاصة الزهرية فوق المجموعة من تلك القصاصات، وفي الوقت ذاته جاءها صوت من مدخل غرفة مكتبها جعل مايكل يلتفت نحو مصدر الصوت وقد اتاح لها المجال لتتناول القصاصة وتخفيها في راحة يدها.

صوت الرجل الآتي من مدخل الغرفة كان اشبه بصوت ممثل يؤدي دوراً من الأدوار ومما قاله: «انظروا كيف تضع رأسها بين يديها.»

قالت: «براد؟» واسرعت تخفي القصاصة في جيب ثوبها، ثم وقفت واتجهت نحو باب الغرفة لترحب بالرجل الذي ابتسم لها ابتسامة واسعة من خلال لحيته الكثيفة التي خطها الشيب.

«يالها من مفاجأة سارة!» هتفت جيني ببراد مكينتوش مما جعله يتردد لبرهة قصيرة عن سبب ترحيبها الشديد به، خاصة وانه لا يذكر بانها كانت سعيدة لرؤيته مرة بهذه الدرجة.

ابتسمت له وتابعت ترحب به قائلة: «تسعدني رؤيتك جداً، فأنا لم اكن اعرف بانك ستأتي اليوم.»

لمعت عينا براد الزرقاوان وكان في نبرة صوته توبيخاً حين قال: «آه، ايتها الجميلة، كيف يمكنك معرفة أي شيء يجري هنا؟ فأنت لا تأتين إلى هنا. ويا للأسف، فقد اهمل مشروعنا. لذا يجب ان اخبر والدك بأنك لا يمكنك القيام بخدمته وان تكوني الملهمة لاعمالي في الوقت ذاته.»

ضحكت جيني ثم قالت محذرة: «من الافضل لك ان لا تفسر له عن ما تشعر به بهذا الشكل، فهو رجل عملي ولا يعترف بالعبارات السخيفة هذه على حد قوله، وانا بنظره لست سوى مستشارتك الفنية لا غير.»

صعق براد من كلامها وقال: «مستشارتي الفينة، آه! لا، لا، لا! لا اريدك سوى ملهمتي، مصدر افكاري يا جيني.»

قطع كلامهما ضجة من الغرفة نفسها، لم تتبين جيني فيما لو كانت تلك الضجة قهقهة ام شخير، أو ربما اراد مايكل ان يغير من جلسته على الكرسي، على أي حال، فلقد جعلهما ذلك الصوت يستديرا ان بسرعة لينظرا اليه بغباء شديد.

كانت في نظرات مايكل تعبيراً ساخراً ومشمئزاً وكأنه استعار من والدها احدى تعابيره الساخرة واللئيمة. وبدا مرتاحاً وكأنه لم يقم بأية مبادرة، فشعرت جيني انه في داخله يضحك كثيراً وكأنه ولد سمع نكتة سخيفة.

شعرت بالحرج دون مبرر لذلك وشتمت مايكل وينترز في سرها، فمن يظن نفسه كي يضحك على براد؟ ان براد رجل ممتاز، حساس وبارع في عمله حتى ولو كانت له تلك العادة الغريبة في الكلام بكثرة، فهذا لا يعني ان...

قال براد مبتسماً: «آسف.» ثم رفع يده إلى اذنه يحكها بخجل وتابع يقول: «لم اكن اعلم بأن لديك ضيف.»

حولت جيني نظرها إلى مايكل، فوجدته يقف وينتظر منها تقديم التعارف بينه وبين براد، وادركت في صميمها بانها تأخرت عن ذلك. وشعرت بالارتباك والخجل، ولكن لماذا تهتم بهذا الموضوع كثيراً؟ لقد سبق لها وحذرت مايكل بأنه شخص غير مرغوب فيه هنا، فهل يفرض على السجين وهنا نعنيها هي، ان يكون مؤدباً مع السجان؟

لكن، امتناعها عن تقديم التعارف بينهما لهو أمر طفولي طائش، لذا قالت: «مايكل وينترز، ارغب في ان تتعرف إلى براد مكينتوش الذي يعلم الشعر في احد المعاهد، كما وانه يساعد شركة كيرني في ادخال الدراسات عن شكسبير في برامج الكومبيوتر من اجل الدراسات العليا في المدارس.»

تقدم مايكل من براد مادا يده للمصافحة وعندما اصبحا جنباً إلى جنب، ادركت جيني بأن مايكل هو الرجل الوحيد الذي لا يبدو قزماً امام براد، فكليهما كانا طويلا القامة جداً، مع فارق واحد هو ان مايكل كان يبدو قوياً مليئاً بالنشاط، بينما براد يبدو عليه الكسل وعدم الحيوية كالدب المستسلم للنوم.

بدت على ملامح مايكل التقدير والاحترام لبراد حين قال له: «تعليم مادة شكسبير لطلاب المدارس؟ يا له من مشروع ممتاز حقاً، لطالما اعجبت به.»

اجابه براد وهو يصافحه: «نعم، كما اننا نستعمل العديد من الصور، فالمبارزة في قصة هاملت تمكن الكومبيوتر من تصويرها في شكل رائع اخاذ.»

ابتسم مايكل وقال معجباً: «يا لها من فكرة رائعة!»

اجابه براد بعد ان ضحك ضحكة قصيرة: «كما واننا نفكر

بأن تظهر المبارزة على اشدها في الكومبيوتر وان نمنح الحق للطلاب في الاختيار مع أي فريق من المتبارزين لينضموا اليه.»

كانت جيني في تلك الاثناء تصغي إلى حديثهما باعجاب، فهي ومنذ كرهت مايكل نسيت كلياً كم كان لبقاً ومشوقاً في كلامه مع الآخرين.

حتى ان براد لم يكلمها عن تفاصيل مشروعه، وجاءت تعليقات مايكل في مكانها وهو يحاول سحب المعلومات من براد باهتمام كبير.

ثم ضحك مايكل قليلاً، وكانت الضحكة الطبيعية الأولى التي سمعتها منه منذ وصوله، لقد كانت ضحكة رائعة وخافتة اضفت جواً حميماً على تلك الغرفة واخذتها الذكريات إلى تلك الأيام المغمورة في الضحك معها ومع مايكل وشقيقها كوين.

قال براد فجأة: «اذاً تعال معنا.» وسحب جيني من افكارها التي ذهبت إلى الماضي البعيد، ثم تابع يقول: «لقد جئت لأسحب جيني من غمرة اعمالها لتأخذني إلى مكان يقدم افخر انواع الحلويات وذلك طبعاً على حساب شركة كيرني، فنحن اساتذة المعاهد لا يسعنا الدخول إلى اماكن فخمة كهذه بل إلى اماكن يحددها مدخولنا الشهري.»

حددت جيني مباشرة فرصتها في الهروب من هذا المأزق كالفأرة التي تظهر امامها فجأة فجوة صغيرة يمكنها الخروج منها. لكن هل يا ترى ستنجح خطتها؟ لا. فمايكل ليس من السهل خداعه، على كلٍ عليها المحاولة خاصة وانها تخايلت شقيقتها تقف عند النافذة تنتظر

وصول سيارتها. فارتعش قلبها من هذه المجازفة التي ستخوضها والتي قد تكشف السر عن مخبأ كلار.

ثم قالت وهي تأمل ان تبدو نبرة صوتها طبيعية: «آه، اعرف ان مايكل يرغب في ذلك حقاً، انما لا اعتقد بأنه سيضيع وقته في امور اخرى هذا اليوم.» وجهت هذا الكلام لبراد دون ان تحيد نظراتها عنه، وكأنها لا تريد ان تفهم من مايكل ما الذي تخبئه من وراء ذلك، فهي لن تفوت هذه الفرصة التي اتيحت لها وعليها ان تقوم بها في الحال دون التفكير فيما قد يصدر عنها.

تابعت تقول بعد ذلك على نحو سريع كأنها تخشى ان تضيع الكلمات منها: «لمايكل مهام كثيرة ليقوم بها، فقد أوكله والدي بعملية تحرية وعليه ان ينجزها له بسرعة فائقة، واعرف تماماً بأنه الآن متحمس ليبدأ بذلك.» ثم تحولت إلى مايكل وتابعت تقول متصنعة الشجاعة: «اليس كذلك يا مايكل؟»

دام صمت مايكل للحظات قليلة، لكن جيني شعرت بها وكأنها ساعات. تلاقت العينان البنيتان بالعينين الزرقاوين، قوته ضد ضعفها، وسلوته تلتقي بخوفها وهلعها من المجازفة التي وضعت نفسها فيها. وشعرت بارتعاش في داخلها، لكن عينيها كانتا تقول له: اتحداك لو تتجرأ وتقول بأنه ليس لك من عمل تقوم به هنا.

ولدهشتها وجدته يبتسم ابتسامة واسعة قائلاً: «اعتقد انها محقة فيما تقول، مع انني أود كثيراً الذهاب معكما لكنني أرى ان من الأفضل ان ابقى هنا وابدأ عملي.»

بدت الخيبة على ملامح وجه براد وعندما حاول

الاحتجاج، لم تمنحه جيني اية فرصة واسرعت تحمل حقيبة يدها قبل ان يعرقل مايكل خطتها. وشعرت بالرضى من نفسها لأنها كانت قادرة على تدبير مثل هذه المكيدة والنفاذ منها بهذه الطريقة، حتى كلار وبكل ما تملك من وسائل الخداع والحيلة لما كانت قامت بافضل من ذلك.

تقدمت من براد وقالت: «سنستقل سيارتي.» ثم تحولت إلى مايكل وتابعت متصنعة الاهتمام: «اعرف انه وبهذه الطريقة لن تتمكن من العودة إلى المزرعة، لكن ستيفاني سوف تتصل لتأتي اليك بسيارة اجرة حالما تنتهي من عملك في نهاية هذا اليوم.»

ولدهشتها أيضاً، لم يعترض مايكل على قرارها ولا بكلمة واحدة مع انه من المؤكد كان يشعر بالهزيمة، ثم اضافت بعدم مبالاة: «آه، كما انني قد اتأخر، فهل تعتذر لوالدي نيابة عني لو انني لم اتمكن من الوصول في وقت تناول طعام العشاء؟»

أي شخص آخر الآن في موقفه، لا بد وان يغضب، فنظرت في وجهه ملياً وكأنها تبحث عن أي علامة امتعاض أو استياء، ولكنها لم تجد شيئاً من ذلك.

«يسعدني أن اقوم بذلك.» قال مايكل بصوت هادىء رصين.

يا له من مجامل كبير، وحتى هذه الجملة لا تفي بالمعنى بالمطلوب، وبدأت عند ذلك ثقتها بنفسها تتلاشى وتضمحل.

وقف عند مدخل باب الغرفة يراقب ذهاب براد وجنيفر، فشعرت من ناحيتها بنظراته المراقبة تلك، وشعرت أيضاً بألم في عنقها يمنعها من الالتفات نحوه.

هناك شيء غريب في هذا الأمر، لماذا لم يبد على مايكل الانهزام؟ أو لنفرض ان الانهزام أمر يصعب طلبه من مايكل وينترز، لماذا لم تظهر عليه أية علامات من الاستياء اذاً؟

لكن وبالمقابل بدا... بدا جباناً أو ربما احمق، لم تستطع ان تفكر بالكلمة المناسبة لتصفه بها.

وعندما دخل براد المصعد تمكنت وهي تلحق به من ان تلمح وجه مايكل، وادركت وهي تشعر بالاعياء ما الكلمة الصحيحة لتصفه بها وهي غروره واعتداده بنفسه، فقد بدا لاهياً وراضياً عن نفسه وكأنه مازال فتى طائشاً يضحك لأي شيء.

ان ذلك كله يعني، بأنها ادخلت نفسها في مشكلة كبيرة.

اغلق مايكل باب غرفة مكتب جيني بعد ان تأكد من نزول المصعد وتوجه نحو السلالم حاملاً المفاتيح التي كان يخفيها في جيب سرواله طوال الصباح.

وصل إلى مدخل المبنى المؤدي إلى الشارع دون ان يكون في اية عجلة من أمره. يالجيني المسكينة، هل حقاً اعتقدت بانها تمكنت من خداعه بهذه السهولة، كما كانت تفعل معه في الايام الماضية؟

لكن هذه المرة، اخطأت في تقدير حساباتها. ومن ناحيته لم ينس كيف يلاحق الاشخاص مع كونه هذه الايام يجلس وراء مكتبه بينما فريق آخر من الموظفين يقوم باعمال التجسس والملاحقة في الشارع. ولنفرض ان جيني قررت فجأة ان تستقل طائرة هيليكوبتر تحط على سطح البناء، فعندها فقط تربكه وتوقف تحركه، لكنه واثق كل الثقة بأن مثل هذه الفكرة لن تخطر ببالها.

انه وقبل ان يصل إلى مزرعة تريبل كاي ليلة البارحة، ترك سيارة رمادية اللون استأجرها من المكتب، تقف قرب مبنى شركة كيرني وذلك لربما، أو في حال، ثلاث كلمات تتردد دائماً في قاموس التحري، فأي تحري لا يتعايش مع هذه الكلمات الثلاث، لا يعيش طويلاً.

لقد قال له آرثر كيرني ان يتسلم زمام هذه المهمة وهي فقط نزاع عائلي. انها مهمة ما كان ليتسلمها لو ما كانت تخص عائلة كانت صديقة له في الايام الماضية. ويذكر مايكل ان كلار كانت دائماً فاتنة ومشرقة لكنها مفرطة في عنادها في نفس الوقت، لكنه تعلم منذ وقت طويل بأن القلوب المشرقة عادة تخص نواحٍ مظلمة وقد يكون الأمر مع كلار افظع من ذلك بكثير.

اسرع بخطواته وقدماه تنهبان الأرض نهباً فعليه ان يصل إلى حيث اوقف سيارته المستأجرة قبل جيني.

كان الحظ حليفه، فقد وصل وبأمان إلى السيارة وجلس خلف مقودها قبل ان تبرز سيارة جيني الصغيرة من موقف مبنى الشركة الكائن تحت الأرض. اخذت جيني تنظر في الاتجاهين من شارع المدينة المزدحم هذا، وبدا ان اعتدادها بنفسها قد زال عنها الآن ليحل مكانه قلق اطل بوضوح من عينيها الجميلتين بينما قبضت بشدة على مقود السيارة.

انحنى مايكل ليخفي جانباً من رأسه واسترق النظر من المرآة. كان براد مازال يتكلم ويحرك يديه الاثنتين، لكن مايكل شك ان تكون جيني مصغية إلى حديثه، فقد بدت شاحبة الوجه وعيناها الزرقاوان محمرتان من شدة قلقها.

«هاي تحركي يا سيدة!» صرخ سائق من ورائها بينما ضغط على بوق السيارة، اجفلت جيني من ذلك وانطلقت بسيارتها وسط الازدحام، فاضطر مايكل لأن ينحني اكثر عندما اقتربت منه، لكن عينيها كانتا مسمرتين على مدخل باب شركة كيرني، وذلك لأنها كانت تتوقع ان تراه خارجاً من هناك سعياً وراءها.

لكنها تقدمت بمحاذاة سيارته ولم تشعر بوجوده، وعندما ابتعدت قليلاً، ادار محرك السيارة وتقدم بهدوء وسط الازدحام امامه.

التجسس والملاحقة ممتازين في مثل هذا الوقت في هيوستن حيث ان الازدحام يكون شديداً عندما يخرج الموظفون لتناول طعام الغداء. كانت سيارة جيني الصغيرة حمراء اللون تلمع وتتوهج تحت أشعة الشمس مما سهلت على مايكل متابعتها وسط الازدحام، كما كانت سيارتها وعلى حد تفكيره، حلم كل تحري في ان يقتنيها لفخامتها واناقتها، ولاحظ عليها من طريقة قيادتها للسيارة بانها تحاول خداع من قد يكون يلاحقها فتراها لا تستقر على هدف معين.

ابتسم مايكل بعد بضعة دقائق وقد ادرك ان معظم الخداع التي تقوم بها جيني، لا بد من انها استوحتها من الافلام البوليسية التي تشاهدها على شاشة التلفاز. وضحك بملء فيه عالياً بعد ذلك عندما تبدلت الاشارة من الأخضر إلى الاصفر، فاضطرت جيني إلى الفرملة بطاعة واذعان.

اخذت تتلفت حولها في كل الاتجاهات بينما كانت تنتظر الاشارة الخضراء، لكنها ومع انها لمحت السيارة الرمادية

التي يستقلها مايكل، لم تبد لها ذات اهمية. وعندما تغير لون الاشارة إلى الاخضر وانطلقت بسرعة، لحق مايكل بها بخفة ومرونة وكأنه يمكنه ان يتكهن إلى أي طريق ستلتف ومتى.

كانت نظراته متعلقة بسيارة جيني، عندما فجأة بدا وكأن العالم بأسره يندفع امامه ويغشي بصره، فحول نظره إلى كل الاتجاهات إلى الشيء الذي حجب عنه الرؤية من امامه.

ما الذي يجري ويدور؟ ضغط بقوة على الفرامل، وانحرف بالسيارة كي يتجنب الاصطدام بالسيارة التي امامه فتوقفت في المكان والوقت المناسبين مع ان قلبه كان ينبض بشدة ويتألم من هذا التوقف السريع والمفاجيء ثم حول نظره إلى المرآة.

ما جرى في تلك اللحظات اشبه بفيلم كوميدي، وتوضحت الصورة امامه عندما وجد العديد من فتيان الكشافة يلهون بطيش دون ان يتوقفوا عن الضحك، ومد مايكل يده إلى المفتاح ليوقف المحرك وهو مندهش من هذا العدد الهائل للفتيان الكشافة.

تمتم بسخط وهو يحك رأسه ويتنفس بعمق، ثم عاد ونظر في المرآة مرة ثانية، فوجد الكشافة يتحلقون ليبددوا ما حل بهم حول شاب طويل القامة لا شك انه قائدهم، بعضهم كان متحمساً والبعض الآخر كان يبكي، لكن جميعهم لم يمسوا بأي اذى. تمتم من جديد وقد شاهد سيارة جيني تصل إلى نقطة اختفت بها عن ناظريه.

«هل انت بخير يا سيدي؟»

اجفل مايكل من ذلك الصوت العالي والعذب في نفس الوقت، وقد صدر عن فتى، فالتفت ببطء لأنه لم يكن متأكداً ما اذا كسر عنقه ام لا، والتقت نظراته بنظرات الفتى الذي طرح السؤال.

كان احد الفتيان الكشافة، نحيل القامة وقد اطل الانزعاج والقلق من عينيه البنيتين، فلا بد بأن هذا الفتى يعتقد ان حادثاً من هذا النوع هو في غاية الاثارة والتشويق.

«هل انت بخير؟» كرر الفتى قوله، فادرك مايكل على الفور بأن الفتى يأمل بأن يكون ليس بخير ليصبح الحادث اكثر تشويقاً بالنسبة إليه. لاحظ مايكل أيضاً ان الفتى لا يتجاوز السادسة من عمره، وهو أي مايكل لا يعرف شيئاً عن فتى في مثل هذا السن الصغير، خاصة انه لم يصبح أباً لغاية الآن.

حاول ان يبتسم له ولكنه لم يفلح في محاولته، كما انه حاول ان يتكلم، لكن الكلمات لم تخرج من فمه. بلع بريقه الجاف، فالذي يشعر به الآن من الكآبة والتعاسة شعر به منذ عدة سنوات، حتى اصبح يشعر بالتشنج كلما وقع بصره على فتيان في مثل سن ابنه لو انه بقي على قيد الحياة.

ان ابنه لكان الآن في سن الخامسة، فهل يا ترى لو بقي حياً كان سيبدو مثل هذا الفتى؟ وهل كان النمش سيحيط بعينيه مثله أيضاً؟ هل كانت ابتسامته ستكون مخادعة مثل هذا؟ وهل كانت اسنانه ستكون غير كاملة أيضاً؟ هل كانت يديه وجانب من وجهه ملطخ بالأوساخ؟

قال مايكل اخيراً محاولاً جهده ان لا يبدو متألماً امامه: «نعم، انا بخير.»

قطب الفتى حاجبيه ولم يعجبه الرد فتابع مايكل يكذب عليه: «نعم، نعم يا صغيري؟ انا بخير.»

* * *

بعد ان انزلت جيني المدعو براد قرب منزله، استغرقت ساعة من الزمن لتصل إلى الكوخ الذي تنزل فيه كلار، لكنها كانت في حالة شديدة من القلق والاضطراب، انما الأهم من كل ذلك انها وصلت بمفردها دون ان يتمكن مايكل من اللحاق بها. لأنها وعندما قطعت البحر المؤدي إلى روست ستيوارت، لم تكن اية سيارة لا وراءها ولا امامها، وعندما اصبحت في الجزيرة، استعادت ثقتها وهدوءها.

شاهدت جيني شقيقتها كلار تنتظرها قرب النافذة عندما وصلت إلى الكوخ، وفتحت كلار الباب قبل ان تتوقف بسيارتها كلياً، وهي مازالت ترتدي نفس الثياب البيضاء التي كانت ترتديها عليها البارحة.

كانت عينا كلار مسمرتين في الطريق الذي جاءت منه شقيقتها، وكأنها تعتقد بأنه ثمة من كان يلاحقها ليعرف مكان مخبئها، بينما كانت جيني في هذا الوقت تتناول اكياس المؤن التي اشترتها لها من المقعد الخلفي للسيارة.

«هل انت متأكدة من انه لم يلحق بك احد؟» سألتها كلار ذلك بقلق وكأنما جيني ما زالت طفلة لا يمكن الوثوق بها للقيام بأي شيء صحيح.

شعرت جيني بالحنق لكنها حاربت هذا الشعور عندما لاحظت شحوب وجه كلار وشعرها الذي ذهبت عنه حيويته

ولمعانه، فهي لغاية هذا التاريخ لا تذكر ان شقيقتها قد اهملت نفسها على هذه الصورة.

قالت جيني: «انني متأكدة.» وهي تتناول آخر الاكياس، ثم اغلقت باب السيارة وتابعت تقول: «كلار، هل يمكنك ان تحملي حقيبة يدي، انها ستسقط مني؟»

تحركت كلار باندفاع وقسوة إلى الامام، لكنها توقفت بعد ذلك مستدركة ومعتذرة من شقيقتها ثم تناولت كيسين من الاكياس قائلة: «آسفة يا جيني.» ودخلتا الكوخ ثم وضعتا الاكياس على طاولة المطبخ وتابعت تقول بنبرة آسفة: «لا ادري ما الذي يصيبني، فأنا اشعر وكأنني انسانة مهملة ومحطمة في بقائي وحيدة في هذا المكان وفي قلبي خوف من ان يهتدي والدي أو اليكس الي، أو حتى تحري آخر قد يكلفانه بهذه المهمة فيكسر هذا الباب ويعيدني قصراً إلى نيويورك.»

تناولت جيني بعضاً من زجاجات المرطبات من احدى الاكياس واودعتهم في الثلاجة، وكذلك علباً من عصير البرتقال والذي تفضله كلار.

«انهم لن يعثروا عليك اذا لم يتمكنوا من ملاحقتي، لقد كنت في غاية الحذر هذا اليوم، حتى انني سلكت طريق انداهو تجنبا لأية مخاطر.»

لم تبتسم كلار لقول شقيقتها وقالت بنبرة مضطربة وهي تمسك بيدها: «لماذا؟ هل كان احد يلاحقك؟»

ربتت جيني على يد شقيقتها مطمئنة، خاصة عندما شاهدت النظرة القلقة التي تطل من عينيها وقد خشيت من ابلاغها بخبر عودة مايكل وبالمهمة التي اوكلها له

والدهما. فبعد موت كوين، كانت تشعر كلار كما شعرت جيني بأن مايكل هو الملام الوحيد على موته. لقد كان بعيداً عنه بدلاً من ان يكون إلى جانبه ليحمي ظهره، فمات كوين بينما كان مايكل منغمساً في خصوصياته، فلا كلار ولا جيني قد يتمكنا من ان يسامحانه على ذلك. ثم اعترفت جيني قائلة: «كلار، لقد كنت محقة بشأن والدنا، فهو بالفعل كلف احدهم ليقتفي اثرك.»

اتسعت عينا كلار وقالت: «عرفت ذلك، هل الذي كلفه هو تحري خاص؟»

اومأت جيني برأسها بالايجاب قائلة: «بل ان الأمر اسوأ من ذلك، فالشخص المكلف ليس بأي تحري.» توقفت عن الكلام لتضغط على يد كلار قبل ان تعلن امامها عن هوية ذلك التحري.

ثم قالت ببطء واضطراب: «انه مايكل وينترز.»

كانت جيني قد حضرت نفسها على ردة فعل كلار الغاضبة والثائرة من هذا الخبر، ووجدتها تحدق بالمجهول غير مصدقة ما تسمعه اذناها، ثم اطلقت بعد ذلك انيناً حاداً تألم له قلب شقيقتها.

همست كلار باسمه: «مايكل وينترز.» بينما اخذت اصابع يدها ترتجف فوق ذراع جيني التي خشيت عليها من الانهيار والسقوط، واستعدت جيني لذلك فامسكتها بكلتي يديها.

لكن ولدهشتها، وجدت كلار تفلت منها دون ان تتفوه بكلمة واحدة لتتجه إلى الحمام تتعثر بخطاها واحكمت اقفال الباب وراءها. فتساءلت جيني هل ان ردة فعل شقيقتها يا ترى ناتج عن ذكر اسم مايكل وينترز فقط؟

وسمعت بعد ذلك صوتاً مزعجاً يأتي من داخل الحمام، فقد كانت كلار تتقيأ كل ما في معدتها.

حدقت جيني بالباب مشفقة ومرتبكة، لقد كان الصوت الصادر من الداخل عنيف جداً، فيا ترى ما الذي يحصل لكلار في هذه اللحظات؟

ان الأمر لو استمر كذلك سيصبح كابوساً مزعجاً. لكن الباب فتح اخيراً وظهرت منه كلار وقد تغير لون وجهها وتبدلت ملامحه لدرجة ان جيني لم تستطع ان تدرك هذه الملامح المتبدلة، عدا انها وجدتها ضائعة ما بين الخوف والخجل.

ثم اتضح لجيني امر ضرب رأسها كالصاعقة وقالت باضطراب: «كلار، هل انت حامل؟»

الفصل الخامس

بعد مضي ساعة من الوقت، كانتا تجلسان قريبتان من الشاطىء، وكانت الامواج التي تتدفق اليهما ترتطم باصابع اقدامهما. بدت كلار وكأنها نائمة فقد اغمضت عينيها من وهج أشعة الشمس الدافئة التي اظهرت مدى شحوب وجهها، فأدركت جيني بان شقيقتها صاحية وصاحية جداً والافكار الخانقة تتضارب في رأسها.

تمنت لو ان والدهما موجود معهما الآن ليرى حالة كلار الحاضرة، لعل هذا الصمت المضني الذي يحيط بها، قد يزيل عندما ترى تعابيره الساخرة. فمن عادة كلار عندما تكون منحرفة المزاج، تراها كثيرة التذمر وتثور ثائرتها دون توقف من الظلم الذي تتكبده.

ارتجفت جيني برداً من الهواء الرطب بعد ظهر هذا اليوم وتساءلت يا ترى ما سبب كل هذه التغييرات.

لو ان كلار تقول لجيني كل ما في صدرها! فجيني هي الأخرى تقاوم وتكافح في امور تجهلها وترغب في معرفتها لعلها تستريح. ولكنها تمكنت اليوم وبطريق الصدفة ان تعرف بعضاً من الاشياء التي تخفيها شقيقتها ألا وهو حملها من اليكس والذي يجهل هذا الأمر كلياً، ولقد اقسمت كلار بأنه لن يعرفه ابداً. اما الشيء المؤسف في ذلك، هو طلاقهما وحرمان الطفل من والديه.

عضت جيني على شفتها دون ان تتمكن من الاستفهام

اكثر حول هذا الموضوع واخذت تراقب امواج البحر وهي ترتطم بالصخور مرة بعد مرة. وغمرتها الكآبة والحيرة وساءلت نفسها مئات المرات عن السبب في كل ذلك بينما كانت الدموع تنهمر بغزارة فوق وجنتيها الورديتين.

ثم قطعت حبل الصمت وقالت لشقيقتها مشفقة عليها: «انت تعلمين يا كلار بأنه يمكنني حقاً مساعدتك لو انني اعرف فقط مما تخافين.»

تكلمت جيني بصوت منخفض همساً وكأنها تخشى ان يسمعها احد، مع ان ذلك شيء سخيف، فلو نظرنا إلى الشاطىء من حولنا، لوجدنا في البعيد عنهما اماً ترعى وتنتبه إلى طفلها، بينما ثلاثة اولاد آخرون يبنون قصراً من الرمال، ولا من احد فيهم يشك أنهم يتجسسون أو يحاولون التنصت إلى كلامها.

شعرت جيني بالانزعاج من نفسها ونهضت بتثاقل متنهدة. يبدو ان عدوى الشك القاتل قد انتقلت من شقيقتها اليها، وما تحتاجه الآن، هو الوضوح وصفاء الذهن.

عادت جيني الى الكلام لكن بقوة اكبر هذه المرة في محاولة بأن تجعل كلار تفتح عينيها، لكن كلام شقيقتها جعلها تغمضهما اكثر وباحكام.

ومما قالته جيني: «اسمعي، يجب ان نفعل شيئاً، فاختفاءك هنا لن يجعل الأمر الذي يضايقك يزول ويتلاشى، فإذا كان ثمة هناك شيء فعله اليكس، أو إذا كان هناك امرأة أخرى، أرى ان علينا ان نخبر والدنا بذلك، فهو لن يقبل ابداً ان تتحملي وتعاني من المشاكل الزوجية.»

لم يصدر أي جواب عن كلار، حتى انها لم تنزعج

امتعاضاً من كلام جيني، بل بقيت على حالها من الصمت هذا يعني انه لم يكن هناك من امرأة أخرى، شعرت جيني بخيبة الأمل من ذلك. فلو كان اليكس زوجاً مخادعاً لكلار لسهل الأمر في التفاهم معه، وخامرها شعور آخر غير مريح الآن، وهو ان الورطة التي تتخبط فيها كلار هي في مكان آخر ومع اشخاص آخرين.

اخذ القلق يقبض على صدر جيني وقلبها يخفق بشدة بينما نظرت إلى كلار الساكنة الصامتة وكأنها في عالم آخر.

ادخلت جيني قدميها في الرمال الرطبة فشعرت بنوع من الارتياح. ثم قالت: «حسناً، ما رأيك، لو نكلف تحرياً لأنفسنا أيضاً؟ فإذا كنت حقاً تطلبين الطلاق، ستحتاجين لحماية نفسك.»

فتحت كلار عينيها فجأة وقالت: «ليس مايكل، ابداً.»

اجفلت جيني من ردة فعل كلار العنيفة، خاصة انها عندما ذكرت والدها قبل الآن لم تظهر كلار هذا العنف، ثم قالت: «انا لم آتِ على ذكر مايكل، فهناك تحريون آخرون غيره. لكن وبما انك ذكرته الآن، لماذا لا نكلفه هو بالذات؟ فهو سيجدك عاجلاً ام آجلاً يا كلار. سنكون اكثر اماناً لو نشرح له الأمور، أو ربما ندعه لينضم إلى صفنا.»

«ليس هو.»

اخذت جيني تحك رأسها وقالت متسائلة: «لكن لماذا؟ هل بسبب ما حصل لكوين؟ لقد تغير مايكل يا كلار، فهو لم يعد ذلك الهاوي الغير كفوء، واعتقد انه اصبح الآن جيداً في عمله.»

كانت متأكدة من ذلك، مع انها لا تدري سبب تأكدها. هل تأكدها ناتج عن اقتنائه لتلك السيارة الثمينة؟ أو من خلال ملابسه الانيقة؟

ثم تابعت تقول وهي عاجزة عن وصف التغيرات الحاصلة بمايكل: «انه ممتاز، والحقيقة لا يمكنك التصور كم اصبح بارعاً.»

«جيني.» قاطعتها كلار بهدوء وعيناها تحدقان بالمياه ثم تابعت: «جيني، هل خطر على بالك بانه ربما لم يصبح كفوءاً بعد؟»

قطبت جيني حاجبيها قليلاً وكأنها بدأت تغضب متسائلة في نفسها هل ان كلار تحاول تغيير الموضوع؟ هل سمعت كل كلامها؟

«ماذا تعنين؟»

شعرت كلار بالغضب الشديد لكنها لم تجب على سؤال جيني ووضعت رأسها بين يديها.

هزت جيني ذراع شقيقتها قائلة: «كلار، ماذا؟ ماذا تعنين؟»

ادارت كلار وجهها ببطء نحو جيني وقالت: «كما قلت لك قبل قليل. لقد كنا دائماً نفترض بأن مايكل وكوين يقومان بعمل غير متقن في ذلك المستودع. كما اننا اعتبرناهما ساذجين جداً وتعوزهما الخبرة أيضاً لاعتقادهما بأن العمل يحتاج إلى رجلين. لكن ماذا لو لم يكن في الأمر خطأ؟»

شعرت جيني بخطورة ما تنطق به كلار وتوجست خيفة من كلامها. فقالت مستفهمة: «لم يكن في الأمر

خطأ؟ ماذا تعنين بهذا؟ وهل تعنين بأنه قد كان في الأمر...»

قاطعتها كلار وقد ظهر في عينيها بوضوح رؤية مخيفة: «اعني بأن الأمر تم عن تعمد وعن سابق تصميم وتصوير. قد يكون احدهم قد دفع لمايكل مبلغاً من المال ليبقى بعيداً تلك الليلة. هل خطر هذا الامر مرة في بالك؟»

دهشت جيني كثيراً من كلام شقيقتها ثم حركت رأسها نافية وقالت: «لا، لا، ابداً!»

لوت كلار شفتيها بمرارة قائلة: «هل ان لمايكل الآن مكتب تحري خاص به؟ وهل هو ناجح كثيراً في سياتل؟»

تلعثمت جيني في كلامها حين قالت: «نعم، لا، لا اعرف. ليس ناجحاً كثيراً، اعني لا اعرف مدى نجاحه...»

«حسناً، انا اعرف، فلقد تحريت عنه، ولديه عشرون شخصاً يعملون لحسابه وعدداً آخر مما يعملون معه لبضع ساعات لارتباطهم باعمال أخرى. فمن اين باعتقادك جاء بكل ذلك المال؟»

تابعت جيني تحرك رأسها نافية وغير مصدقة وكأن بامكانها ان تنفي ما سمعته بخصوص العشرين موظفاً الذين يعملون لحسابه، مع انها كانت متأكدة بأن كلار قامت بابحاث نشيطة وجمعت تلك المعلومات عنه، ثم تذكرت امراً تعلقت به مدافعة عن مايكل وقالت: «نعلم جميعنا بأنه نال حصته من التأمين، كما وان اليكس نال حصته، وكل الشركاء كان مؤمناً عليهم، هل تذكرين؟ وهذا أمر طبيعي وعادي في حقل الاعمال يا كلار.»

ابدت كلار عدم اهتمامها لكلام شقيقتها وعادت تحدق

بمياه البحر، عندها شعرت جيني بالامتعاض والحنق على قدرة كلار في التحول والابتعاد عن الثورة التي كادت ان تجتاحها.

احتارت جيني في امرها في البداية ثم قالت: «لكن يا كلار، لقد حصل اليكس أيضاً على حصته من مال التأمين، مع انه لم يكن موجوداً تلك الليلة، اليس كذلك؟ زوجك لم يكن هناك أيضاً لينقذ كوين.»

ولدهشة جيني، اظهرت كلار موقفاً مدافعاً عن اليكس وكأن اتهام شقيقتها ضربها في الأعماق. وقالت: «لم تكن مناوبة اليكس تلك الليلة، كان من المفروض ان يكون مايكل هناك وليس اليكس.»

اصرت جيني على موقفها وقالت مراوغة: «حسناً، لكن ربما ذلك لم يكن بمحض الصدفة أيضاً. لماذا تحصرين شكوكك بمايكل فقط؟ لقد بدأ اليكس تأسيس مطاعمه منذ ان حصل على حصته من مال التأمين، اليس كذلك؟ ولديه الآن اكثر من مائة موظف.»

لو ان جيني اظهرت حقاً دهشتها من الاخلاص الذي اظهرته كلار لزوجها اليكس، فإنها الآن ليست مندهشة من نفسها بل مصعوقة من الاخلاص الذي تبديه هي نحو مايكل، خاصة وان مايكل لم يكن شيئاً بالنسبة اليها لا الزوج ولا الصديق. فلماذا إذاً تلوم شقيقتها على حصر شكوكها به فقط؟

الجواب على ذلك وبكل بساطة، اعتقادها بأنه ليس في الأمر عدلاً، وليس من الممكن ان يكون مايكل قد قام بمثل هذا العمل الفظيع الذي يأتي بشيء اكثر من الاهمال واكثر

من الاهتمام. انه يعني الجريمة بافظع معانيها وعن سابق عزم وتصميم. فشعرت بقشعريرة باردة تسري في عروقها عندما وصلت بافكارها إلى هذا الحد.

ظهرت الحدة في عينيها وقالت بصوت هامس وكأنها تخشى ان يسمعها احد: «تعلمين ان الجميع شكوا بأن عائلة ميتشل هي التي دبرت لهذه السرقة، اذاً ربما تكون العائلة نفسها قد دفعت لمايكل ولأليكس ليبقيا بعيدين فيبقى كوين البائس وحده في حراسة المستودع في تلك الليلة.»

عائلة ميتشل دفعت لمايكل واليكس؟ تغضن وجه كلار عندما لمست عدم الصدق في وجه جيني.

قالت كلار بصوت متقطع: «آه يا جيني.» ثم اخذت بعد ذلك تحرك رأسها بعصبية إلى ان توقفت على نحو آلي وبدت فعلاً كالرجل الآلي الذي ينتظر ما يؤمر به. فلم يسع جيني عندها الا ان تمسكها بكتفيها وتهزها لتعيدها إلى رشدها.

ثم جاء صوت جيني عنيفاً وقاسياً ولكنها لم تقصد ان تجرح شقيقتها بل لتجعلها ترى بأن ما تقوم به هائل وفظيع، وقالت: «توقفي عن ذلك! واصغي اليّ وإلى نفسك! هل انك حقاً تعتقدين بأن كلاهما متورطان في موت كوين؟ مايكل واليكس؟ يعملان معاً ويقومان بشيء يضع كوين في خطر؟ هل هذا ما تعتقدينه حقاً؟»

اخذت كلار ترتجف بقوة وبعصبية وقد عادت اليها تلك الذكرى المؤلمة، وبعد ذلك بدأت بالبكاء.

«لا اعرف يا جيني.» قالت كلار ذلك باكية بألم وحسرة ثم

احنت برأسها على صدر جيني واحاطتها بذراعيها وتابعت تقول: «آه، انني لا اعرف.»

* * *

كان الوقت قد قارب منتصف الليل عندما وصل مايكل إلى مزرعة تريبل كاي بينما كان الصمت والسكون يخيمان في ارجاء المنزل. فمشى مايكل بهدوء كي لا يوقظ احداً ثم دخل غرفة كوين وخلع عنه سترته.

لقد كان مرهقاً، فحل ربطة عنقه لعل نفسه تنتعش قليلاً ويتمكن من الاتصال بسكرتيرته في سياتل لتخبره عن سير العمل، لكنه فكر في أنه ليس هناك من جديد، فعدل عن فكرته لأنه لا يريد ان يشعر بالاحباط والفشل كما حصل معه هذا اليوم.

لقد بدأ يومه سيئاً منذ ان كاد يصطدم بفتيان الكشافة، وكم طال به الوقوف هناك إلى ان انهى رجال الشرطة تحرياتهم وتدقيقهم بأوراق مايكل ومن ثم تدوين التقرير المفصل بالحادث مما منح لجيني الوقت الكافي لتسلك طريق تانزانيا والعودة منها.

لقد علمته الأيام في عمله بأن سوء الطالع لا يجر سوى سوء طالع آخر، وهذا اليوم بالنسبة اليه لا يمكن مقارنته بأي سوء طالع آخر مر به، ولا من شيء واحد تم على ما يرام. وأخذ يقلب الصور العائلية التي اعطاه اياها آرثر، كانت صورة جيني جيدة وقد التقطت لها وهي في مبنى شركة كيرني، اما صورة كلار فقد كانت غير واضحة وكأنها ليست هي نفسها. والجدير بالذكر ان آرثر لم يكن

بالرجل الرقيق المشاعر الذي يحتفظ بألبوم جيد يذكره باولاده عندما كانوا صغاراً فلا بد ان هذه الصور كانت قد التقطت دون علم أو ارادة منه.

لقد سأل العديد من معارف آرثر، ولكن لا احد يذكر انه شاهد احدى الفتاتين. انما جاءه الأمل من عامل صغير السن يعمل في احدى المحطات التي اعتادت جيني ان تضع سيارتها ليتم غلسها أو لتخزينها بالوقود، وقد بدا على العامل بأنه سعيد لأن يدلي بمعلوماته لمايكل، ومما اخبره بأنه في الآونة الأخيرة باتت جيني تزود سيارتها بالوقود بصورة مضاعفة عن السابق، كما ان اطارات السيارة وحتى داخلها تمتلىء بالرمال.

هل تكون رمال من الشاطىء؟ لكن وعلى أية حال كيف كان لمايكل ان يقتفي اثرها وقد حصل ما حصل له هذا اليوم. عاد يقلب الصور ليتوقف عند صورة جيني المبتسمة وينظر إليها مطولاً، قائلاً في نفسه من يمكنه رؤيتها مرة واحدة ويقدر ان ينساها بعد ذلك.

تمتم بكلمات غاضبة ثم رفع سماعة الهاتف وطلب ارقام مكتبه في سياتل.

جاء صوت ليزا عبر الاسلاك: «شركة وينترز للتحريات.»

اجابها مايكل دون ان يتمكن من اخفاء تعبه في نبرة صوته: «مرحباً، اعتقد ان الساعة في سياتل قد تجاوزت العاشرة ليلاً في هذه اللحظات، فلماذا لم تعودي إلى المنزل بعد؟»

ردت ليزا والابتسامة واضحة من خلال كلماتها: «كنت ساهرة انتظر اتصالك الهاتفي.»

«هل تعنين بسهرك في المكتب تستطيعين تجنب مقابلة راي؟» قال مايكل ذلك لأنه كان يدرك بأن صديق ليزا قد اصبح جاداً في معاملتها مؤخراً، وحتى تتجنبه اخذت ليزا تمضي معظم الليالي في مكتب الشركة.

فقالت بشيء من القوة والعزم: «ارفض هذا الكلام منك، كما ارفض التحليل النفسي بشأني، خاصة وانه صادر عن رجل مثلك يخشى فتاة في سن السابعة عشر.»

قطب مايكل حاجبيه قائلاً: «انها في الثالثة والعشرين، كما وانني لا اخشاها كما تظنين. وبالمناسبة، من اين جاءتك هذه المعلومات؟»

ضحكت ليزا وقالت: «لقد استنتجت ذلك عندما اتصل بك آرثر كيرني في البداية طالباً مساعدتك، فلاحظت امتقاع لون وجهك وتبدل تعابيره ولا اذكر انني رأيت مرة وجه رجل يتبدل بهذه السرعة. لذا استنتجت ان ذلك ليس ناتجاً عن الوالد نفسه أو عن الشقيقة المختفية لأنها متزوجة، وتأكد لي ان سبب ما حصل لك هو ناتج عن تلك الصغيرة، الست محقة فيما اقول؟»

كاد مايكل ان يضحك ولكنه تمالك نفسه وقال: «هل تعلمين انك كالخصم العنيف الذي يخشى المرء مواجهته؟ فلو توقفت عن القيام بأية ملاحظات حول راي هل تتراجعين عما قلته عني؟» لم ينتظر الاجابة على سؤاله بل تابع يقول وقد حمل قلمه ودفتر ملاحظاته: «والآن ما رأيك لو نتكلم بشؤون العمل؟ آمل ان يكون يومك هذا جاء بنتيجة افضل من يومي.»

فاجابته ليزا: «ليس هناك الكثير، فتحرياتنا بشأن كلار

لم تصل إلى نتيجة تذكر، لكننا عرفنا انه وقبل اسبوعين سحبت من المصرف الذي تتعاون معه مبلغاً كبيراً من المال، لكنها لم تقطع تذكرة في أية طائرة وكذلك لم تستأجر سيارة لنفسها، ويخال لي انها تعيش اليوم تحت جسور طرقات المدينة كي لا تكتشفها الأعين.»

لم يستطع مايكل امساك نفسه عن الضحك هذه المرة وكأنما ليزا تعمدت حقاً ان تجعله يضحك. ثم قال: «لا اعتقد ان كلار قد تفعل ذلك، لأنها امرأة تحب الرفاهية وترفض الذل ولو في احلك الظروف ولا تأكل سوى الكفيار الممتاز.»

فقالت ليزا: «حسناً هذا جيد، هذا امر يسهل علينا اقتفاء اثرها. والآن ماذا يحمل يوم الغد من عمل؟»

«احصلي لي على لوائح كل المستأجرين وعلى الأخص هؤلاء الذين يستأجرون لفترات قصيرة وفي الاماكن التي تبعد خمسون ميلا عن هيوستن، فأنا اعلم جيدا ان جيني تذهب دوماً إلى كلار لرؤيتها وتعود مساء للمبيت في مزرعة تريبل كاي، واجعلي عيناً مراقبة على اليكس تود زوج كلار.» لم يطرح هذا الأمر الأخير الا بناءً على احساسه الذي حذره منذ ستة سنوات ان يبقى إلى جانب كوين ليلة موته لكنه لم يكترث لهذا الاحساس وحصل ما حصل، لذا تجاهله الآن يعني خطورة كبيرة قد يندم عليها ندماً اكبر من السابق.

تساءلت ليزا بدهشة: «الزوج أيضاً؟»

«نعم، يجب ان نعرف نواياه، فلربما هو الآخر يبحث عنها، كما وانه يعرفها اكثر مما نعرفها نحن وقد يجدها هو أولاً ويجب ان اكون موجوداً عندما يعثر عليها. آه،

تذكرت الآن، عليك مراقبة طبيب كلار أيضاً، وتوصلي إلى معرفة هويته وكم من المرات زارته مؤخراً.»

«هل تبحث عن شيء معين؟»

«اتعنين عينان مكحلتان بالسواد أو كدمات أو اعضاء مكسرة في كلار؟ لا اقصد ذلك مع انني اعلم ان اليكس ليس بالرجل المثالي ولكنني وفي الوقت ذاته لم أرَ اية تصرفات عنيفة تصدر عنه. آه، لا اعلم يا ليزا، لكن لربما اصبح رجلاً غريب الاطوار، مما جعل لكلار سبباً كي تهرب منه. كما ان جيني قررت ولسبب اجهله بأنني الرجل السيء الخلق ويخامرني شعور بأنها ترغب بشحني في صندوق مغلق إلى سياتل وفي أسرع وقت ممكن.»

«أرأيت؟ لقد قلت لك بانك تخشى جانبها.»

حتى وفي الساعة الثانية من الصباح، ايقن مايكل بأنه لن ينعم بالنوم الهادىء. كانت الليلة مقمرة وضوء القمر ينساب بنوره على وسادة سريره، بينما كانت معدته تحدث اصواتاً مؤلمة لعدم ادخال لقمة من الطعام اليها وهذا سبب وجيه لأرقه. فالمرء الذي لا يتناول عشاءه عادة يبقى صاحياً لا يعرف للنوم سبيلاً اليه.

خرج من غرفته ولا يجول في رأسه سوى سندويشاً لا فرق لأي نوع من الطعام ليلتهمه بشهية وهدوء. لم يصدر من المنزل اي صوت يذكر سوى شعوره بالجوع.

لكنه وما ان وصل إلى الطابق الأرضي، حتى ادرك انه كان مخطئاً في ظنه. فالمنزل لم يكن ينعم بالهدوء الكامل، هناك غرفة مضاءة يصدر منها اصوات خافتة، اذاً لا بد وان احدهم ما زال صاحياً.

توقف ليتميز الغرفة التي فتح بابها ولاحظ بعد ذلك ان التلفاز الذي في داخلها يعرض فيلماً قديماً باللونين الأبيض والأسود.

هذا يعني ان الذي مازال صاحياً ليس سوى جيني العذبة والسخيفة والتي يمكنها مشاهدة فيلم كازبلانكا لمئة مرة وان تبكي في كل مرة وكأنها تشاهده للمرة الأولى، ولا بد انها هي الأخرى وجدت أن النوم مستحيلاً عليها هذه الليلة.

ودون تردد أو تفكير، توجه إلى تلك الغرفة. ليجدها فعلاً هناك.

تبين له بعد ان لمس الشحوب في وجهها، بأنها كانت تبكي بكاء مراً، وعلبة محارم الورق إلى جانبها والمحارم المستعملة تتكوم على الأرض. فشعر بالعطف الكبير نحوها وكم انها تتمتع بقلب رؤوف وحنون.

«هل الفيلم جيد؟»

اجفلت جيني ونظرت اليه بدهشة. ثم وبعد ما تمالكت نفسها حولت نظرها إلى التلفاز مجدداً وقالت بصوت ابح: «نعم، انه الفيلم الرائع جيني.»

حول مايكل نظره إلى الشاشة مفكراً ان هذا الفيلم كان من الافلام المفضلة إليه أيضاً، ولكن المشاهد المؤلمة والتي تجلب الدموع لم تأت بعد، فلماذا بدأت جيني بالبكاء مسبقاً؟

«أتسمحين لي بمشاهدته معك؟» وجلس على احدى المقاعد قبل ان يسمع الجواب منها، ثم تابع يقول متناولاً كمية من الفشار التي امامها: «ارجو ان يكون لديك الكثير من هذا لأنه لم يتسنَ لي تناول طعام العشاء.»

تناولت جيني طبق الفشار ووضعته إلى جانبه، لكنه لاحظ ان حضوره جعلها غير مرتاحة فبدت مضطربة ومنكمشة في مقعدها وعيناها متورمتان من شدة البكاء، فتساءل ما الذي دعاها للبكاء بهذه الحرقة والألم.

ثم سألته وهي تركز نظرها على التلفاز: «وما السبب الذي منعك من تناول العشاء؟»

اجابها وعيناه على التلفاز أيضاً: «اعتقد انني نسيت في غمرة مشاغلي.»

حولت نظرها إليه بازدراء شعر هو بها دون ان ينظر اليها وسمعها تقول: «بالطبع نوعية عملك تنسيك مثل هذا الأمر المهم. فماذا تفعل ويفعل الاشخاص امثالك. تسترقون النظر حتى في قمامات الناس؟ غريب، كيف لم تجد فيها شيئاً لعشائك؟»

ادرك انها تريد ان تسخر منه ومن عمله، فتمالك نفسه وتناول كمية أخرى من الفشار. ثم اجابها بحيوية: «بالحديث عن ذلك، فأنا ومنذ وقت طويل لم اقم بأي تفتيش في القمامات ولذلك ترين انني قد فوت على نفسي طعام العشاء.»

فقالت جيني وهي غير قادرة على اخفاء كرهها وازدرائها: «احقاً ما تقول؟ هل تحاول اقناعي بانك تمكنت من انشاء وكالة للتحري وبهذا الحجم من دون ان تلوث يديك بقمامات الناس؟»

قطع الفيلم في تلك الاثناء ليبث فاصل من الاعلانات وكان الصوت الصادر عن التلفاز الآن اعلى بشكل مضاعف

عما كان عليه اثناء عرض الفيلم، فاضطر مايكل ان يتكلم بصوت عالٍ كي يجيب على سؤالها.

«في الحقيقة يا جيني العمل خفيف جداً هذه الايام والاشخاص الذين يوكلونني في بعض المهام لايدفعون الكثير.»

اخرستها كلماته للحظات قليلة، لكنها قالت بعد ذلك على نحو متقطع وكأنها قررت قراراً في غاية الاهمية ودون ان تحول نظرها عن التلفاز: «مايكل، لنفترض بأن والدي على حق، وبأنني حقاً اعلم بمكان كلار.»

نظر إلى جهة وجهها الجانبية ولمس البراءة والجمال مجتمعان معاً لكن في شكل جدي ومهتم.

وأجابها: «حسناً، اعتقد انه يمكنني ان افترض ذلك ولكن لبعض الوقت.»

زمت بشفتيها قليلاً وكأنها لمست السخرية وعدم ثقته بكلامها ولكنها لم تعلق بشيء بهذا الخصوص، بل قالت: «حسناً، فإذا كنت تلاحقني، فأنا لن اذهب اليها، أم انك تعتقد غير ذلك؟ وفي هذه الحالة كيف سيساعد هذا الأمر احداً منا؟ لنفترض أيضاً انك ستجعل الأمر مستحيلاً لدي لتمنعني من رؤيتها، من سيؤنس وحدتها؟ من سيأتي اليها بالطعام والمال؟ من سيأخذها إلى السينما أو المكتبة، أو حتى إلى الطبيب؟ من...»

قاطعها مايكل باهتمام واضح ولم يدعها تكمل كلامها: «الطبيب؟ هل هي بحاجة لزيارة الطبيب؟»

التفتت جيني نحوه اخيراً فاغرة فاها بخوف شديد وكأنها باحت بأمر خطير وكان بامكانها ان تكون حذرة اكثر من ذلك.

وتابع يقول بلطف ورقة في محاولة منه ليحثها على البوح بما في قلبها: «هل هي مريضة يا جيني؟ هل تأذت من شيء ما؟»

بلعت جيني بريقها الجاف ولم تستطع النطق بكلمة واحدة، فشعر بقلبه يتألم لما لمسه من الألم والارتباك في وجهها.

فتابع بنفس النبرة اللطيفة: «جيني، يجب ان تدعيني امد يد العون اليها.»

الفصل السادس

لم تنفر من كلماته ولم تحاول الابتعاد عنه مع أنه قرأ كل ذلك في عينيها الحادتين وقد قرأ أيضاً الألم الشديد يغلفهما.

اخفضت بنظرها إلى الأسفل وبلعت من جديد بريقها الجاف ثم قالت بنبرة مثقلة بالتعب بالرغم من محاولاتها لاخفائها: «صدقني يا مايكل، لقد كان الأمر مجرد افتراض هل تذكر؟ فلا داعي لأن تحمله بهذه الجدية.»

«جيني...»

قاطعته بضحكة مرتجفة وقالت بعد ما انتهت من ذلك: «دعنا نتكلم بأمر آخر، عن الأعمال التي تقوم بها، أعتقد أنها مثيرة للغاية، فهل هي حقاً محفوفة بالمخاطر؟»

هاله أن تغيّر دفة الحديث بهذه الطريقة البسيطة والسهلة وفي محاولة منها بأن تشعره أنه دارياً وواعياً في هذه المهنة التي اختارها.

لكنه يريد المزيد من المعلومات حول شقيقتها، يريد منها أن تثق به وأن تنطق بالحقيقة وتفتح له قلبها بصدق وأمانة، وأن ترمي بمشاكلها له وتدعه يتحمل أعباءها بدلاً عنها، كما أنه يريدها أن تصدق بأنه يستطيع حلّ عقدها.

وتابعت تغيّر دفة الحديث غير آبهة بما يفكر به: «يبدو

أنفك على غير ما كان عليه في السابق، فكأنه كسر، هل هذا ما حدث فعلاً؟»

في الحقيقة أن أنفه كسر على أيدي ثلاثة من قطاع الطرق في إحدى الأماكن المقطوعة، وكسر مرة أخرى على يدي أحد المختلسين في سانت لويس وذلك قبل أن تسعفه الأيام ويؤسس شركة للتحريات مع عشرين موظفاً يقومون بهذه الأعمال بدلاً عنه. وأجاب على سؤالها: «نعم، كسرته أكثر من مرة.»

«إذاً، مهنتك محفوفة بالمخاطر.»

«أحياناً.» قال مايكل ذلك مدركاً أنه يحدث له مثل ذلك كلما فقد أعصابه وثار جنونه. لكنه الآن وفي هذه اللحظات، كان هذا الحديث الذي أرادته جيني يضايقه ويزعجه، وهي من ناحيتها رأت أن في مثل هذا الحديث أماناً وسلاماً لشقيقتها وذلك يدلّ على أنها تحيط نفسها بالحيطة والحذر.

«هل ترين هذا؟» تابع يقول وهو يرفع كمّ قميصه من يده اليسرى وكأنه يريد أن يحاربها في الحديث الذي اختارته بدلاً عن الحديث الأول الذي يهمه.

قالت جيني تترقب بحذر: «ماذا؟ أين؟»

«هنا.» قال وهو يدلها على الجرح البليغ في أعلى ذراعه. ثم تابع: «حصل ذلك على يد سيدة بواسطة خنجر أرادت أن تسدّده إلى قلبي لكنها لم تستطع التصويب بدقة.»

«مايكل...» نطقت جيني باسمه بصوت مرتجف وقد هالها رؤية الجرح والذي سببه له، ثم أخذت تجهش بالبكاء

وتابعت تقول بشفتين مرتجفتين: «آه يا مايكل، إني أفتقده كثيراً!» وتحوّل البكاء إلى نشيج وقالت بصوت متهدج: «ما سمعتك تقوله أعاد كل الذكريات من جديد، آه فأنت لا تدري كم أنني أفتقده وأشتاق إليه.»

فقال مايكل بنبرة رقيقة يحاول بها أن يخفف عمّا أثار شجونها: «أعرف ذلك يا جيني، فهوّني عليك.»

تابعت تقول بألم: «إنني فعلاً بحاجة إليه يا مايكل، بحاجة إلى شقيق كبير اكلمه وأبحث معه في مشاكلي.»

ثم تابعت ضاحكة بصوت تخنقه الدموع: «أعرف بأن كوين لم يكن يوماً بالرجل الحكيم، لقد كان دائماً طائشاً ومدلّلاً في الحقيقة، إننا جميعنا كذلك، وكل ما كان يريده من هذه الحياة هو اللهو والمرح. لكنه شقيقي، شقيقي الوحيد ولا تدري يا مايكل كم كنت أحبه وأرتاح إليه.»

شعر مايكل بالدموع تترقرق في عينيه لكنه قاومها حتى لا تنهمر على خديه وقال: «أعرف يا عزيزتي، أعرف ذلك، وأنا أيضاً أحببته كثيراً.»

قال مايكل ما قاله أخيراً وهو يخشى من ردة فعل جيني بأن تصفعه على وجهه وهو يعترف بعاطفته لكوين الذي سبّب في مقتله، لكنه دهش عندما لم تفعل ذلك وبقيت على حالها من الألم والبكاء.

وتابعت البكاء بصمت لفترة طويلة وهو حائر أمامها لا يدري كيف يمكنه أن يهوّن عليها هذا الأمر، إلى أن غالبها النعاس وغفت، فوقف ينظر إليها بإشفاق للحظات قليلة،

www.liilas.com

وابتعد عنها بعد ذلك إلى السلالم التي تؤدي إلى الطابق الأعلى ودخل إلى الغرفة الموحشة التي كانت يوماً تخصّ كوين.

* * *

في صباح اليوم التالي وفي الساعة السابعة بالتحديد، خرجت جيني من المنزل تمشي على اطراف أصابعها كي لا يسمع والدها خطواتها، وتوجهت إلى سيارتها وهي تشعر برأسها يكاد ينشق إلى قسمين من الصداع.

فعندما صحت من النوم، أخذت تفكر بالسبب الذي جعلها تغفو فوق الكنبة دون أن تتذكر. وبعد جهد تذكرت كل شيء وقرّرت أن تخرج في الحال مع أنها كانت جائعة وبحاجة ملحة لتناول فطور الصباح.

وتساءلت كيف سمحت لنفسها بالانفعال والبكاء كالأطفال أمام مايكل. كيف فعلت مثل ذلك الشيء خاصة بعد أن وضعت كلار في رأسها الشكوك السامة بخصوص مايكل وعلاقته في مقتل كوين؟ ربما فعلت ما فعلت لأنها لم تقتنع بكلامها ولم تصدق أن مايكل متورط إلى هذه الدرجة. فكلار امرأة عاطفية تبالغ في تحليلها للأمور، والآن وبما أنها حامل وتمر في حالة عصبية مع زوجها أليكس، تراودها أفكار رهيبة مبالغ فيها.

كما أن جيني لم تظهر لكلار شكوكها هي الأخرى لأنها تعلم بأن شقيقتها تعرف ما تشعر به وما هو رأيها في هذا الموضوع. فلو أن جيني تدخلت أكثر بعد ظهر أمس تدافع

عن مايكل، لكان من المؤكد من أن تحصل كارثة أليمة، لذا تركت جيني شقيقتها تدخل ثائرة كالعاصفة إلى الكوخ لتقبع فيه تستسلم لأفكارها السوداء.

ولكن هل يا ترى أن كلار محقة في شكوكها حيال هذا الأمر فقط؟ وبأنها أي جيني وبسبب تعلقها في طفولتها بمايكل، ترفض رفضاً قاطعاً ما تنسبه كلار إليه؟ وتذكرت كم كرهته واحتقرته عندما كان بعيداً عنها في ولاية تكساس، لكن الأمر اختلف الآن وقد أصبح قريباً منها وأعاد إليها أفكارها بالذكريات السعيدة لطفولتها.

وصلت إلى سيارتها ورأسها يضجّ بالأفكار المتضاربة ولم تستطع أشعة الشمس الدافئة من أن تعيد الصفاء وراحة النفس إليها، وعندما مدت يدها لتفتح باب السيارة، ارتجفت يدها وارتعشت أصابعها.

«تخرجين في هذا الوقت المبكر؟»

استدرات بسرعة مجفلة، ولكنها ندمت على حركتها تلك، كان عليها أن تبدو أكثر هدوءاً أمام مايكل وأن لا تدعه يشعر بأنها تقوم بشيء خفية عنه وهو الذي يظهر فجأة ومن غير مكان محدّد.

قالت بإحراج دون أن تتمكن من إخفائه: «نعم. إنني كذلك.»

«آه، يا لها من صدفة، فأنا أيضاً خارج.» أجابها مايكل بذلك مبتسماً ابتسامة تمنت لو ان بإمكانها أن تصفعه عليها.

لكنها تمالكت أعصابها وقالت: «حقاً يا لها من صدفة، هل تريد أن أوصلك إلى مكان ما؟»

www.liilas.com

اتسعت ابتسامته وكأنه أدرك نواياها ثم قال: «لا، أعتقد أن من الأفضل لي أن أقوم بتنقلاتي بنفسي في هذا اليوم دون أن يعرف أحد إلى أين أذهب.»

قال ذلك بعفوية وبساطة قدر استطاعته عاقداً العزم أن يحتمل المهمة التي أوكل إليها بصدق وأمانة. فأطالت النظر إليه تحاول قهر الخيبة التي اعتمرتها منذ ظهوره امامها فجأة في هذا الوقت المبكر من الصباح، وأدركت أن دموعها الساخنة التي ذرفتها ليلة البارحة لم تعن له الكثير.

تنهدت بعمق وفتحت باب السيارة ثم رمت حقيبة يدها على المقعد إلى جانبها. على كلٍ، لما تهتم لكل ذلك، فالمسألة الأهم بالنسبة إليها هي شقيقتها كلار والطريقة التي يمكنها مساعدتها فيها، وقد أعدّت خطة لرؤيتها فإن لم تتمكن تنفيذها اليوم، فمن المؤكد غداً على شرط أن يكون براد مستعداً للتعاون معها.

وفي الوقت الحاضر، إذا كان ما يريده مايكل هو ملاحقتها من مكان إلى آخر، فليفعل ذلك، لأنه لديها العديد من المهام التي لا معنى لها لتقوم بها هذا اليوم في كل أنحاء هذه المدينة الحارة وليكن يومه مملاً وضجراً ودون أية نتيجة كيوم أمس.

دخلت سيارتها وجلست وراء المقود ثم قالت بابتهاج مصطنع: «في هذه الحالة، أراك لاحقاً. آه وأعتقد بأن عليك أن تتأكد من أن سيارتك مليئة بالوقود، لأن هذا اليوم سيكون طويلاً جداً.»

«إنني أتأكد دائماً من ذلك.» سمعته يقول بمرح بعد ما

انطلقت بسيارتها، ورأته من خلال مرآة السيارة يضحك ساخراً منها.

مع حلول المساء، جلس مايكل في مطعم أنطونيو الإيطالي وعلى بعد طاولتين من الطاولة التي يجلس إليها براد مع جيني. يوم جديد لم يستفد منه مايكل وذهب سدى كاليوم السابق وقد كان منزعجاً من ذلك وكأنه غاب عن ذهنه كم تحتاج مهنته إلى الصبر وطول الأناءة.

وكان قد قرّر ليلة البارحة بأن الطريقة الوحيدة ليجعل هذه المهمة ناجحة هي أن يدع جيني ترى وتلمس بأنه لا يمكنها أبداً أن تبعده عنها مهما خدعته. كما أنه كان يعلم بأن جيني ليست بالفتاة العنيدة التي لا تحيد عن آراءها كشقيقتها كلار، ويعتقد بل يؤكد بأنها سوف توافق قريباً بأن أفضل الطرق لمساعدة كلار هي أن تخبره بمكان كلار وسبب هربها واختفاءها عن الجميع. أو ربما تبوح لوالدها بهذا السر، لكن في كلتي الحالتين تنتهي مهمته ويبتعد عنها.

وفي العودة إلى أحداث هذا اليوم، نرى أن جيني أداخت مايكل وجعلته ينتقل معها من مكان إلى آخر في مهام لا قيمة لها بالنسبة إليه. فقد لحق بها إلى المصبغة ومنها إلى الصيدلية، وإلى مخزن الأحذية وإلى محل الملبوسات، ومن ثم إلى صالون تصفيف الشعر، وها هو الآن يجلس منتظراً تحركاتها المقبلة، فمنذ ساعتين وهو يرشف فنجاناً تلو الآخر من القهوة ويستمع إلى الضحكات التي تطلقها جيني على تعليقات

www.liilas.com

براد والتي يزودها باللغة الشكسبيرية، لكن وبالنسبة لحالة الانزعاج التي يعيشها مايكل الآن، يعتقد بأنه لو اصطف جميع الكوميديين أمامه الآن، لن يجعله واحد منهم، أن يبتسم لا أن يضحك.

ثم تقدم منه النادل وقد تأفف في داخله من مكوثه الطويل ومايكل لا يطلب سوى القهوة وقال له: «هل تريد المزيد من القهوة يا سيدي؟ أو ربما تريد فاتورة حسابك؟» واحتار مايكل في أمره فهو لا يدري متى ستنتهي تلك الجلسة الشكسبيرية.

حوّل نظره إلى طاولة جيني وبراد، ورآها تحمل حقيبة يدها بينما براد يدفع ثمن طلباتهما، ثم وقفا وتوجها إلى باب المطعم ليخرجا منه.

«من المؤسف أن تنتهي هذه الجلسة اللطيفة.»

سمع مايكل هذا الكلام الذي قاله براد.

ثم سمع جيني تضحك كعادتها لكلام براد، فدفع مايكل ثمن فناجين القهوة العديدة التي شربها ولحق بهما إلى الخارج وقد بقي على مسافة بعيدة عنهما.

استقل براد سيارته وابتعد، بينما استقلت جيني سيارتها واتجهت بها شرقاً نحو مزرعة تريبل كاي، ففكر مايكل وهو يقود سيارته وراءها والشعور بالذنب يقتله، فجيني لن تحظى اليوم برؤية شقيقتها مما قد يجعلها غداً مستعدة للبوح بمكان مخبأ كلار إذا استمر الأمر على هذه الحال.

وبينما كان يقود سيارته، تعالى رنين الهاتف. كانت المتصلة سكرتيرته ليزا، فشعر من نبرة صوتها المرتعشة بأنها تحمل أخباراً قد تكون مهمة.

ومما قالته ليزا عبر أسلاك الهاتف: «لا أدري إذا كانت هذه الأخبار قد تفيدك مع انني أعتقد أنها مهمة، وقد جئت بها من طبيب كلار.»

«ماذا؟ هل هي مريضة؟»

أجابت ليزا وقد عجزت عن إمساك نفسها عن الضحك: «آه، ربما قليلاً، وأعتقد في الصباح في أكثر الأحيان. فالجميلة كلار والمبتعدة عن زوجها أليكس تود، سوف تنجب طفلاً.»

انتهت المكالمة الهاتفية، وكانا قد وصلا إلى مزرعة تريبل كاي وأوقفا سيارتهما في نفس اللحظة تقريباً، فتعمدت جيني اللياقة والأدب وانتظرت مايكل ليخرج من سيارته ويرافقها في صعود الدرج إلى المنزل.

«يا لها من مصادفة لطيفة أن تقرّر تناول الطعام في مطعم أنطونيو هذه الليلة.» بادرته جيني بالقول مبتهجة، قد يكون مايكل لاحقها طوال اليوم ومنعها من الذهاب إلى شقيقتها، ولكنها دبّرت مع براد خطة يمكنها من رؤيتها مساء الغد.

وشعور منها بالرضى من نفسها وعن الخطة التي دبرتها تابعت تقول بابتسامة مشعة: «يا ليتك انضمّمت إلينا.»

بادلها مايكل بابتسامة مزيفة أيضاً وقال وهو يحرّك كتفيه غير مبالٍ: «كنت أود ذلك، ولكنني لم أشأ أن أقحم نفسي في جلستكما تلك.»

دهشت من كلامه ومن عدم اهتمامه أو غيرته من براد، فهل يا ترى كانت تقصد في قرارة نفسها أن تثير غيرته؟

فإذاً كان هذا حقاً ما تقصده، فمن المؤكد أنه أمل واهٍ لا أساس له.

وكيف من المعقول أن يصوّر لها عقلها بأنها تستطيع أن تثير غيرة مايكل الذي ما زال يعتقد بأنها ما تزال صغيرة السن. على كلٍ، ربما أنه على حق في ذلك، فالطفلة وحدها هي التي يمكن أن تتصور بأن مايكل وينترز قد يغار من براد مكينتوش.

حتى انه لم يظهر عليه الاهتمام بها تماماً كما كان منذ ستة أعوام حيث لم تكن سوى الشقيقة الصغيرة لكوين. ثم قالت فجأة: «حسناً، عمت مساءً الآن، فأنا احبذ المكوث قليلاً في الحديقة قبل أن أصعد إلى الطابق العلوي. وأنام.»

أجابها بأدب: «عمت مساءً إذاً.» ثم اختفى داخل المنزل.

توجهت إلى الحديقة بمفردها وإلى حيث زُرع نبات يبعث رائحة تبهج النفس وتنعشها، فوقفت هناك تملأ رئتيها بهذه الرائحة العطرة والفوّاحة، ثم تنهدت بعمق وهي تحدّق بمياه البركة في الجانب الآخر.

«أين قد تكون.»

قفزت جيني من هول المفاجأة ومن نبرة صوت الرجل الغاضب، معتقدة بأنه مايكل الذي لم يعديحتمل كل ذلك منها.

ثم تقدم الرجل فبانت ملامحه أمامها، إنه لم يكن مايكل بل أليكس تود زوج كلار.

«أين هي يا جيني؟» قال أليكس ذلك من جديد وهو على

بعد خطوات قليلة منها بينما كانت عيناه غاضبتين تنذران بكارثة رهيبة، ولما لم يسمع جواباً منها، تقدم إليها وأخذ يهزّ كتفيها بعنف وتوبيخ.

«أين تكون زوجتي.»

www.liilas.com

الفصل السابع

جعلتها الصدمة في البداية لدى رؤيته تقف أمامه جامدة دون كلام، ومرت اللحظات ثقيلة وشديدة الوطأة عليها وأليكس ينظر إليها بنظرات حادة تتطاير شرراً.

وبقيت تنظر إليه وهي عاجزة من أن تأتي بأية حركة أو تنطق بأية كلمة.

عاد يتكلم من جديد وبنفس النبرة الغاضبة: «جنيفر، أجيبيني!»

ضاقت عيناها مندهشة فكأنها لم تتوقع منه مثل هذا العنف، خاصة وأنها تعرف زوج شقيقتها بالرجل الطيب والضعيف الشخصية ولم يخطر ببالها أنه قد ينقلب إلى مثل هذا الرجل العنيف والقاسي. عندها استفاقت من هول هذه الصدمة التي شلّتها في حينه وتذكرت أنه ما من أحد، حتى والدها العنيف، كان قد عاملها بهذه الوحشية من قبل، فكيف يجرؤ أليكس تود على ذلك؟

أجابته بنبرة آمرة وناهية: «دعني وشأني... على فكرة، منذ متى وأنت تختبىء هنا؟»

لم يتبدل حاله، بل بقي على الغضب والعنف، وبدت ملامحه أقسى وأشدّ وحشية حين قال: «اخبريني يا جنيفر، وإلا ستندمين على ذلك.»

اتسعت عينا جنيفر وجرى الدم حاراً في عروقها من شدة الغضب وقد حوّلت نظرها إلى المسافة البعيدة الغارقة

بالظلام الدامس، ثم حاولت قصارى جهدها على أن تحافظ على هدوء أعصابها.

فكرت بوالدها المريض الذي يغطّ في نوم مريح في الداخل وبذلك الممرض المسكين الذي يغفو على كرسي قرب سرير والدها، وتساءلت هل سيسمعانها لو طلبت النجدة، وماذا عن مايكل الذي يشغل غرفة شقيقها كوين، هل سيسمعها هو الآخر لو صرخت طالبة النجدة والمساعدة؟ وساورها الشك في أن يسمع نداءها خاصة وأن غرفة كوين في الجهة الأخرى من المكان.

وعادت إلى مخيلتها شكوك شقيقتها كلار بالنسبة لمايكل والتي سخرت منها ضمناً في ذلك اليوم، عادت تلك الشكوك لتسكنها وتقلقها، ثم تساءلت هل أن مايكل وأليكس حقاً شريكان بتلك الكارثة التي حلت بشقيقها؟

غطّ في تلك اللحظات طائر من طيور الظلام على أحد أغصان شجرة الصنوبر محدثاً صوتاً مزعجاً، فتجمّد قلب جيني بين ضلوعها وكأنما ذلك الطائر أراد أن يأكد شكوكها. وعادت أفكارها المقلقة تتقاذفها وتساءلت، إذا كانت كلار محقة فيما قالته بخصوص الرجلين، فهل لو سمع مايكل استغاثتها سيهب لنجدتها؟

قالت بنبرة هادئة حاولت جهدها كي تظهر كذلك علماً منها أنه لن يهب إلى مساعدتها أحد: «أليكس، إنك تؤذيني.»

أجابها أليكس وهو ما زال على حاله من الغضب: «لا بل أنت التي تؤذيني، لأنك تبعدين زوجتي عني.»

قرّرت أن تتابع كلامها معه بهدوء لعلها في ذلك تعيده إلى رشده ولطفه، فقالت: «لا يا أليكس، أنت تعلم أن ذلك غير

صحيح فأنا لا أستطيع أن أجبر كلار على أية طريقة لتدير بها شؤون حياتها، لن أتمكن مهما حاولت وأنت أول من يعلم ذلك.»

لكن وبالرغم من جهودها لتهدىء من غضبه، باءت كل تلك الجهود بالفشل، فقال بنبرة وحشية: «آه، لا تلعبي معي دور الفتاة البريئة.»

كان في قلبها خوف كبير بالرغم من قرارها على متابعة الكذب أمامه، فقالت ترجوه بكره منها: «أليكس أرجوك، أرجوك أن تتوقف.»

علا صوت في تلك اللحظات أوقفها عن متابعة كلامها: «دعها وشأنها يا تود!»

كان صاحب الصوت مايكل الذي ظهر فجأة دون أن يشعر به أحد وتابع يقول: «ما الذي تفعله يا أليكس.»

أجاب أليكس وقد تبدّلت نبرة صوته الغاضبة: «إنني أحاول أن أجعل جيني تخبرني عن مكان زوجتي، هذا كل ما في الأمر.»

شعرت جيني بسعادة مريرة عندما وجدت أليكس يتراجع بضع خطوات إلى الوراء خائفاً من مايكل، ثم سمعته يتابع كلامه بغضب: «لا أعتقد أن هذا الأمر يعنيك.»

تقدّم مايكل منه وظهرت ملامحه الغاضبة من انعكاس ضوء القمر على وجهه وقال: «لا بل هذا الأمر يعنيني.»

بدأ أليكس يقول: «هاي، اسمع.» لكنه سكت باضطراب عندما أصبح مايكل أمامه بقامته المديدة.

ثم قال مايكل متوعداً: «لا تحاول أن تتدخّل في شؤونها من جديد.»

ارتبك أليكس واحتار في أمره ثم قال: «ولكنني لم أود أن أؤذيها أو أي شيء آخر.»

فأجابه مايكل بنفس القوة: «هذا صحيح. كما وانك لن تحاول بعد الآن من جديد، خاصة وأنا موجود هنا.»

رأت جيني جبين أليكس يتصبب بالرطوبة حين اعترض قائلاً: «ويحك يا مايكل، كنت أعتقد أن الرجل العجوز كلّفك في المساعدة للعثور على كلار، لكنني لم أعلم أنه دفع لك كي تحرس وتسهر على الراحة أيضاً.»

أجابه مايكل: «إنني لم أكلف بالأمر الثاني الذي ذكرته بل أنا أقدمه من تلقاء نفسي ودون أي مقابل.»

حوّل أليكس نظره بسرعة إلى جيني ليعود وينظر إلى مايكل وابتسامة ماكرة ترتسم حول شفتيه قائلاً: «صحيح؟ آه... فهمت. لقد قرّرت أن تصيب عصفورين بحجر واحد أليس كذلك؟»

للحظات قليلة لم يجب مايكل، ورأت جيني يده اليمنى تتحرك قليلاً وكأنه يريد أن يرفعها ليصفع أليكس على وجهه.

إنما ضغط على أعصابه وأجاب بهدوء: «نعم لهو كذلك، أو لنتقل أمراً شبيهاً بذلك. والآن، لماذا لا تعود إلى نيويورك يا أليكس وتدعني أقوم بهذه التحقيقات بنفسي؟»

بدا واضحاً من أن أليكس مزعج جداً وبأنه لن يتراجع بهذه السهولة عندما أجاب: «لا أدري إن كنت سأنفذ لك هذا الطلب فقد مضى على غياب كلار أكثر من اسبوعين، فهل توصلت إلى أي نتيجة؟»

تقدم مايكل من أليكس ووضع يده على ظهره يدفعه

www.liilas.com

بلطف قائلاً: «لماذا لا نرجىء هذا الحديث إلى وقت آخر؟ هيا، سأصطحبك إلى حيث تقف سيارتك.»

نظر أليكس نظرة أخيرة إلى حيث تقف جيني ولكنه لم يستطع أن يقوم بتهديدات أخرى لوجود مايكل بينهما، فأطاعه وسمح له بأن يرافقه إلى سيارته دون أي مقاومة.

شعرت جيني بخوف شديد يملأ قلبها وهي تراقبهما يبتعدان، فقد فهمت ماذا كان يعني مايكل عندما أرجأ الحديث إلى وقت آخر، حيث لا تكون هي موجودة فتسمع ما قد يقوله بخصوص شقيقتها.

ترقرقت الدموع فجأة في عينيها، فهي لم تتوقع أن يحدث كل ذلك، فمنذ قدوم مايكل إلى مزرعة تريبل كاي والآلام الشديدة تعصف بها وتقضي مضجعها، فتتقاذفها الأفكار المقلقة في الحمل الكبير الذي حمّلتها إياه شقيقتها كلار.

منذ دقائق قليلة وعندما ظهر مايكل فجأة امامها، شعرت بالأمان، ولكنها الآن وهي تشاهدهما يترافقان ويتهامسان بأمور من الواضح أنه لا يريدها أن تسمعها، فانقلب شعورها بالحماية منه إلى شعور بالخوف والقلق من جانبه.

لكن... لقد بدا على مايكل الصدق والعنف عندما شاهد وسمع تهديدات أليكس لها ولم يبد عليه بأنه مخادع ومراوغ.

تقلّصت شكوكها بعض الشيء تجاهه وتساءلت، أليس من الممكن أن يكون مايكل يتملق ويلاطف أليكس ليبعده عن هذا المكان؟ وشعرت بثقل شديد في رأسها فأخفضته منهكة

لعدم وضوح أي شيء أمامها عدا عن شعورها بإلحاح شديد على أن تصدق بأن مايكل صدم وتفاجأ من تصرفات أليكس نحوها، وبأنه لن يتغاض أو يتجاهل أي شيء قد يؤذيها أو يؤذي كلار... أو ما كان قد أذى كوين.

تنفست بعمق والدموع تتماوج في عينيها عندما تذكرت شقيقها كوين.

«هل أنت بخير يا جيني؟» جاءها صوت مايكل وقد سمعت من البعيد صوت محرك سيارة أليكس التي ابتعدت يبتلعها الظلام.

تابع مايكل يقول بلطف: «لا تقلقي، لقد رحل.»

لكنها لم تجب فقد كانت عاجزة عن الكلام وحتى عاجزة عن التفكير.

همس برقة: «جيني؟»

قرّرت الابتعاد عنه، لا خوفاً منه، ولكن منعاً لتجدّد آلامها النفسية، إنما وبالرغم من قرارها ذاك لم تحملاها قدماها على القيام بأية خطوة إلى الأمام.

همس مايكل بعذوبة: «ماذا هناك؟» ولما لم ينل أي جواب منها، تابع يقول بصوت منخفض: «الويل له، لقد سبّب لك الأذى.»

«لا.» لقد كذبت جيني ولكن صوتها جاء مخنوقاً.

فقال مايكل وكان يعلم بأنها تكذب: «جيني عزيزتي، يؤسفني أن يحصل لك ذلك.»

«لا تقلق، أنا بخير.»

ولكنها كذبت من جديد، فهي لم تكن بخير قط، فتمتم باسمها: «جيني.»

وعندما لم تتفوّه بأية كلمة همس قائلاً: «جيني، يجب أن نتكلم.»

نتكلم؟ حدّقت به بدهشة وهي تلوم نفسها لشدة حماقتها. طبعاً انه يلاطفها ويكلمها برقة ليجعلها تتكلم وتبوح له بكل ما تعرفه عن شقيقتها كلار، ومن ثم يتطرق معها إلى حديث سيذكرها بأنه من المفترض أن يكون عدواً وليس بصديق. والحديث يجر حديثاً آخر يذكرها أيضاً بأنها جيني الصغيرة التي كانت دائماً في ما مضى تحتاج لنصائحه. لا، إنها تفضل الموت إذا تراجع عن موقفه منها وعاملها معاملة الشقيق الأكبر تجاه شقيقته الصغرى.

وكأنه أدرك ما يجول في رأسها فقال بنبرة حازمة: «جيني، انظري إلي.»

لكنها لم تستطع أن ترفع نظرها إليه خجلاً منه وفي رأسها سؤال واحد لا تعرف له جواباً، ألا وهو ما الذي جرى لها وهي التي يتوجب عليها أن تقف موقفاً آخر منه.

عاد يقول: «يجب أن نتكلم.»

أجابته بصوت مخنوق: «ولكنني لا أرى بأنني مستعدة الآن.»

نظر إليها بعطف وقال: «يجب أن نتكلم كي لا تعودي إلى سابق حقدك علي، وهناك الكثير من الأمور التي يجب علينا أن نتفاهم ونتفق عليها.»

قرأت التصميم والعزم في ملامح وجهه، ثم قالت: «هل تعني كلار بكلامك؟»

أومأ برأسه بالإيجاب وقال: «أليكس أيضاً، فقد كان قاسياً معك هذه الليلة ويجب أن أعرف السبب لذلك.»

قال: «ألهذا السبب ابتعدت كلار عنه؟ هل أساء معاملتها وظلمها؟»

أجابت بألم وكأنما ذكر اسم شقيقتها هزّ مشاعرها: «لا، لا أعتقد ذلك، فكلار لم تذكر أمامي شيئاً من هذا القبيل.»

«آه، إذاً قام بذلك التصرف معك لأنه كان في حالة عصبية شديدة بسبب اختفاء كلار، أو ربما لأنه عرف بأمر طفله وهذا يبرّر تصرفه معك عندما وجد أن مولوده الأول سيؤخذ منه، فلا ألومه من ناحيتي، فأي رجل آخر كان قد تصرف بالمثل.»

أجابت جيني بغباء: «لكنه لا يعرف شيئاً بأمر الطفل، لقد قالت كلار بأنها لن تدعه يعرف.»

إن ما قالته جيني بعفويتها الصادقة، ألزم مايكل على أن يصمت للحظات قليلة، فأدركت خطأها وتراجعت بضع خطوات إلى الوراء مرتاعة.

لقد أخطأت تجاه كلار، فيا لها من نصير يعتمد عليه! كيف سمحت لنفسها أن تبوح بسرّ من الأسرار التي إئتمنتها عليها كلار؟ فمن المؤكد أن مايكل كان يتلاعب بحديثه معها ليفهم حقيقة هذا الأمر.

قالت بنبرة وجلة: «كيف عرفت بأمر حمل كلار؟»

تجاهل مايكل سؤالها وقال كأنه يحدث نفسه: «من المحتمل أن أليكس يعتقد بأنه لن يرى زوجته وطفله بعد الآن، وقد جنّ جنونه من ذلك.»

عادت جيني تكرّر بغباء: «إنه لا يعرف! لكن كيف عرفت أنت.» وجاءت كلماتها الأخيرة بصوت عال.

www.liilas.com

نظر مايكل إليها بغموض وكأن صوتها العالي ذكره بشيء بعيد ومظلم من حياته، ثم قال: «تريدين أن تعرفي كيف عرفت بأنها حامل؟ سأقول لك، بواسطة طبيبها. كنت قد كلفت أحد رجالي ليتحقق معه، واتصلت بي سكرتيرتي لتخبرني بهذا التقرير.»

قطفت إحدى الزهور البرية وأخذت تقطعها بعصبية ثم قالت: «إنك حقاً فعّال وبارع. رجالك الصغار في كل مكان يقومون بالعمل عنك، بينما أنت هنا تحاول ملاطفتي بكلامك المعسول كي أبوح لك بكل مكنونات قلبي.»

ضاقت عيناه وهو ينظر إلى وجهها الغاضب ثم قال بنبرة باردة: «كم سيكون ذلك بديعاً، لكن شيئاً في داخلي يقول لي بأنك لن تفعلي ذلك.»

قبضت بعصبية على إحدى الأغصان قائلة: «إنك محق فيما تقول، فأنا لن أفعل ذلك، لذا، ألا ترى معي بأنك ضيعت وقتك سدى.»

كان بإمكانها أن تشعر بالغضب الذي يغلي في داخله، رفعت نظرها إليه ثم حبست أنفاسها لرؤية ملامح وجهه التي بدت في غاية القسوة، فاعتقدت بأنه سيوبخها وسيؤذيها كما فعل أليكس. لكنه لم يفعل ذلك بل تنفس بعمق وابتسم.

وكأنها اطمأنت إلى ابتسامته فقالت بصوت متقطع: «مايكل... إنني حائرة لا أعرف ما...»

توقفت فجأة عن متابعة كلامها عندما علا رنين الهاتف الخارجي الذي يبقى دائماً على طاولة الحديقة. وأخذ الرنين يتردّد صداه مع نسمات هذه الليلة الهادئة بينما أخذ

قلبها ينبض بشدة متسائلة في نفسها عمن يكون المتصل في هذا الوقت المتأخر.

توقف الرنين فجأة، لكنها بقيت تحدّق بالهاتف مرتابة، فلا يمكن لوالدها أن يجيب على هذا الاتصال لأنه لا يوجد هاتف في غرفة نومه بل في صالة المنزل حيث لا يمكن أيضاً حتى للممرض أن يجيب عليه بهذه السرعة.

«ماذا هناك؟» سألها مايكل وهو ينظر ملياً في التبدل المفاجىء في وجهها.

لكن... عاد الهاتف يرن من جديد ولمرة واحدة وتوقف بعدها، فشعرت جيني بانقباض موجع في صدرها وقد ادركت ان المتصل هي كلار، ورنين الهاتف لمرة واحدة، هي بمثابة إشارة اتفقتا عليها مسبقاً في حالة الطوارىء، ومن المؤكد أن كلار لن تتصل تشكو وحدتها، أو من أجل حاجتها لبعض المشتريات.

من المؤكد أن هناك أمر جدي وخطير.

www.liilas.com

الفصل الثامن

قال مايكل: «إنها كلار، أليس كذلك؟»

لكن جيني لم تجبه والتزمت الصمت عاجزة عن التفكير بكذبة تخدعه بها لتتمكن من الذهاب إلى الكوخ الذي تمكث فيه كلار وفي الحال. وشعرت بساقيها تؤلمانها تعجز من القيام بأية حركة، لقد تأكدت الآن بأن كلار بحاجة يائسة إليها، لكن كيف يمكنها القيام بأية حركة ومايكل واقف أمامها كأنه السجّان والحاجز الذي لا يمكن إزالته من بينها وبين شقيقتها.

«مضطرة للخروج.» نطقت بهاتين الكلمتين بتهور وسرعة وكأنهما كلمة واحدة.

رفع حاجبيه تعجباً، كما اتسعت عيناه كأنه لا يصدق ما يسمعه منها وقال: «الليلة؟»

أومأت برأسها بالايجاب قائلة بصوت مضطرب: «نعم، قد... قد يكون الأمر خطير.»

فقال لها عندئذ برقة: «إذاً دعيني أذهب معك، فقد تحتاجين للمساعدة.»

كان ما طلبه منها شيء مثير بالنسبة إليها، فحبست أنفاسها مفكرة، كم أنه من المريح أن ترمي بكل همومها ومعاناتها فوق كتفيه. كما أن نظراته الحنونة إليها كادت أن تجعلها ترضخ إلى طلبه هذا، لأنها تعبة ومرهقة من حمل هذا العبء بمفردها دون معين إلى جانبها يساعدها ويقوي من عزيمتها.

لكن لا، لا يمكنها أن تفعل ذلك، لقد وعدت كلار التي أظهرت مخاوفها من مايكل والذي بإمكانه أن يجعل جيني تبوح له بكل شيء.

إنما، ربما وفي وقت لاحق من هذه الليلة، وذلك إذا كان كل شيء على ما يرام مع كلار، ستحاول أن تشرح لها وتقنعها لتأمن من جانب مايكل، وإلى ذلك الوقت عليها أن تحافظ على الوعد الذي قطعته مع شقيقتها.

تراجعت بعض الخطوات إلى الوراء ثم أخذت تمرّر بأصابع يدها فوق الطاولة متظاهرة بتفحصها قائلة: «لا أستطيع، انك تعرف ذلك.»

خيّم بينهما لحظة صمت ثم رفعت بعد ذلك نظرها إليه بعصبية فالتقت عيناهما وشعرت بالوجل من الذي قرأته في عينيه.

ثم قال بوجه مكفهر: «فهمت، انك ما زلت لا تثقين بي.»

أجابت بيأس وكآبة: «لا، ليس الأمر كما تتصوّر، إنما وعدت كلار بالكتمان وعليّ المحافظة على وعدي لها، انها تعتمد علي في ذلك.»

قاطعها وقال بغضب: «جيني، أنا لا أريد أن أسمع مثل هذا الكلام، بل أريد أن أسمع منك كلمة نعم أو لا على سؤالي هذا: هل تثقين بي؟»

أرادت أن تجيبه بنعم، لا بل كادت أن تقولها، ولكنها عندما حاولت أن تنطق بها، عادت هواجسها وشكوكها تعصف بها كإحدى عواصف الشتاء الباردة.

هل تثق به؟

www.liilas.com

اخفضت نظراتها كي لا تدعه يقرأ ما يجول في عينيها، فهي تريد الوثوق به بكل جوارحها، إنما ماذا لو لم يكن موضع الثقة؟ ماذا لو تأذت كلار من ذلك؟ إنها لا تدري أو بالأحرى لم تعد تدري بمن تفكر، بكلار أو بأليكس... أم حتى بشقيقها وبتلك الليلة التي مات فيها.

أخذت تتضارب في رأسها الأفكار دون أن تصل إلى جواب يهدىء نفسها ويريح قلبها، إلى أن سمعته يقول لها: «نعم أو لا؟»

سحبها سؤاله من تساؤلاتها العديدة وقالت برهبة: «لا أعلم، كنت أحاول أن أشرح لك عندما...» توقفت عن الكلام لتحوّل نظرها إلى الهاتف كأنها تريد أن تجد كذبة لتخفي سبب رنينه بذلك الشكل، لكنها لم تستطع، فهو من المؤكد قد عرف أن المتصلة كانت كلار، لذا قالت: «عندما اتصلت كلار، كنت أحاول أن أقول لك بأنني ما عدت أفهم شيئاً.»

«إذاً جوابك هو لا.» قال ذلك بنبرة باردة وكأنه يعلن فيها انهاء الموضوع، وتحوّل عنها ليخطو خطوات واسعة إلى حافة البركة، ثم أخذ يحدّق بالمياه التي عكست صورته من ضوء القمر.

أخفضت نظراتها من جديد، مفكرة بأنه على حق وبما أنها لا تعرف ان كان بإمكانها الوثوق به، فهذا يعني أنها لا تثق به على الإطلاق.

رفعت نظرها فوجدته ينظر إليها بعينين تائهتين، فقالت بألم وبنبرة رجاء: «مايكل، يجب أن أذهب.»

قال بخشونة: «إذاً اذهبي، فأنا بإمكاني أن ألحق بك.»

تدحرجت دمعتان على خديها لا شعورياً منها وقالت: «نعم، أعرف أن بإمكانك ذلك، إنما اطلب منك أن لا تلحق بي.»

ضرب الطاولة بيده بغضب شديد قائلاً: «إنك تطلبين مني... آه. ألا تعلمين أن ما تطلبينه يستحيل علي أن أنفذه لك؟»

أجابت بصوت مضطرب: «ولكنني مضطرة لأن...»

بقي على حالته من الغضب وهو يقول: «ماذا بشأني إذاً؟ إنك لست الوحيدة التي أقسمت على المساعدة، أو ربما نسيت بأنني أقمست أنا أيضاً بمساعدة والدك؟ هذا عدا ما يقوله عقلي الراجح بأنك لن تكوني بأمان لو أنك ذهبت بمفردك إلى هناك؟ آه يا جيني، إنك لا تعرفين خطورة الأمر وما قد يصادفك في طريقك.»

هزّت كتفيها بيأس دون أي مبالاة وهمست بضعف مقارنة مع نبرته القوية: «أعرف، لكن ومع ذلك أطلب منك أن تتيح لي المجال لأذهب بمفردي.»

نظر إليها طويلاً وبصمت لا يعكره سوى أنفاسه المخيفة والمتلاحقة، فخالت جيني نفسها أنها وحيدة على هذه الأرض بالرغم من العدد الهائل لسكانها.

وأخذت ترجو بصمت وهي تنظر إشارة منه.

وبعد صمت طويل قال فجأة بنبرة طبيعية بينما وجهه ظلّ محافظاً على قسماته القاسية: «لا، لا تفعلي ذلك يا جيني. لا تطلبي مني أن أقوم بأشياء ضد مبادئي ورغباتي.»

«آسفة، لكنني أطلب بل أرجو منك ذلك.» قالت ذلك بنبرة

www.liilas.com

جدّ آسفة وكأنها فعلاً أخطأت بحقه وتتأسف من ذلك الآن. وتساءلت في نفسها لماذا تتأسف منه وهو الدخيل الذي اقتحم حياتها ليجعل تسيير أمورها وأمور كلار أصعب مما كانت عليه.

طأطأ برأسه وقال بمرارة: «حسناً يا جيني، لقد انتصرت علي.»

لكنها لم تشعر بالانتصار بل بموجة عارمة من الارتياح ممزوجة بعامل غريب من الأسى لأنها مضطرة لمغادرته والابتعاد عنه الآن. أمرٌ مدهش حقاً أن تشعر بذلك الشعور، فابتعدت عنه وتجاهلته، لأن الأمر الأهم عندها في هذه اللحظات، هو أن تصل إلى كلار بأمان.

فقالت بغباء وعرفان جميل تافه: «شكراً لك، فهذا يعني الكثير.»

سدّ عليها طريق المرور وقاطع كلامها بقسوة: «انتظري أريد أولاً أن أجري مكالمة هاتفية.»

غمرتها رأساً الشكوك وكادت أن تقطع عنها تنفسها وهي تقول: «لمن؟»

لكنه كان قد سبقها إلى الهاتف وبدأ بطلب الأرقام، فلحقت به بخطوات سريعة وفي رأسها سؤال واحد، بمن يتصل؟ هل بأليكس يا ترى؟ وهل وافق على خروجها لأنه اتفق مع أليكس ليقوم بملاحقتها بدلاً منه؟

«بمن تتصل؟» قالت ذلك من جديد في سكون هذا الليل، وتضرعت ورجته في داخلها أن لا يكون المتصل به أليكس.

«إلى تحرٍ خاص.» جاءت كلماته باقتضاب وهو يحدّق في المسافات التي تغرق في الظلمات وتابع يقول وهو

ينتظر الردّ على مكالماته: «لقد أرسلته وراء أليكس منذ اللحظة التي غادر فيها هذا المكان، وأريد أن أتأكد من ذلك الآن.»

أخيراً، هناك ثمة من أجاب، فوقفت جيني مسمّرة في مكانها، تنصت إلى حديث مايكل الذي لم تسمع منه سوى الكلمات الأخيرة من كل جملة، فحاولت جهدها أن تفكر وتشغل رأسها لكي تملأ الفراغ من كل جملة لعلها تصل إلى نتيجة.

وهذا ما قاله مايكل عبر الأسلاك: «مينكن، هل وجدته؟ جيد. أين هو؟ هل حجز لنفسه غرفة؟ جيد. دع المسؤول في الفندق يعلم بما تقوم به واعطه اسمي، ثم أوقف سيارتك بمواجهة غرفة أليكس وابقي الهاتف الخليوي إلى جانبك لتتصل بي إن لاحظت عليه شيء ما. وإذا اضطرك الأمر لأن تمنعه من التحرك فلا تتأخر، فأنا لا يهمني شيء.»

أخذت جيني تراقب بدهشة كيف أعاد مايكل سماعة الهاتف إلى مكانها وقد تبددت شكوكها قليلاً وليس كليّاً. فما سمعته من حديث مايكل لهو أغرب حديث سمعته في حياتها... هل هي ساذجة إلى هذا الحد أم ماذا؟ لنفترض أن في الأمر خدعة ابتكرها مايكل ليجعلها تطمئن له، فهي لم تسمع كلمة واحدة من المتصل به، فما الذي يثبت لها بأنه كان هناك شخص يتحدث معه من الجانب الآخر؟

حدّقت في الهاتف للحظات طويلة وكأنه شيء جديد، وأدركت أنها لو بقيت على هذا الحال، ستصاب بجنون

www.liilas.com

الارتياب لا من مايكل فحسب، بل من الآخرين أيضاً، ولن تعرف الحقيقة من الكذب، والصدق من الخداع.

فقال مايكل بجفاف: «اذهبي، إنها تحتاج إليك.»

أخذت تحوّل نظراتها من الهاتف إليه والعكس بالعكس بحيرة وخوف، فهي ومنذ لحظات قليلة كان للكذب طريق أسهل إليها، أما الآن كيف بإمكانها أن تتابع ذلك وقد أفسحت المجال لأليكس وببساطة في أن يلاحق خطواتها إلى حيث تختبىء كلار عن الأنظار.

ابتسم مايكل بسخرية عندما لاحظ مدى حيرتها وارتباكها، ثم قال: «أمر مضحك! ألا تصدقين هذه المكالمة أيضاً؟ وهل حقاً تعتقدين بأنني أخدعك؟»

ثم أخذ يتحرك بعصبية وتابع يقول: «حسناً، إنني آسف يا عزيزتي، لكن وبصراحة، لقد سئمت من محاولاتي لاقناعك بأنني لست بوحش كما تتوهمين، فإذا كنت ترغبين برؤية كلار هذه الليلة، أرى أنه من الأفضل لك أن تمنحينني قليلاً من الثقة بي.»

* * *

وجدت جيني شقيقتها كلار ولأول مرة غير باكية، وهذا مما جعلها تخاف أكثر عليها، فقد دخلت إلى الكوخ على جناح السرعة لتتوقف بعدها جامدة في مكانها لهول ما وجدته في تعابير وجهها الغريبة.

وأشارت لها بيدها إلى المقعد قائلة: «اجلسي يا جيني، يجب أن نتكلم.»

جلست جيني ببطء شديد على حافة المقعد ورمت

بعلاّقة المفاتيح إلى جانبها قائلة: «هل أنت بخير؟ هل تأذيت من شيء؟» سألتها ذلك بالرغم من أن ما شاهدته في شقيقتها لا يدل على أنها متأذية، صحيح أن كلار كانت شاحبة الوجه وهذه هي طبيعتها منذ أن اختبأت في هذا الكوخ وابتعدت عن الأنظار، لكنها كانت متأنقة وقد سرّحت شعرها.

أجابت كلار بصوت لاذع منخفض بينما كانت يداها تتحركان بعصبية: «لا، لكنني اكتشفت أشياء واعتقد أنه يجب أن تعرفيها.»

طأطأت جيني برأسها بصمت بينما كان قلبها ينبض بشدة، ثم قالت وهي تحاول بجهد أن تحافظ على رباطة جأشها: «حسناً.»

تنحنحت كلار بصوتها ثم قالت: «آه، لا أدري من أين أبدأ، لكنني أعتقد بأن ما بدأ، بدأ في الواقع منذ شهر تقريباً عندما استحققت التصرف بميراث والدتي لي.»

لازمت جيني الصمت وقد فهمت ماذا تعني كلار من كلامها، فكل من الشقيقتين لهما ميراثاً خاصاً بهما من والدتهما ولا يحق لهما التصرف بذلك الميراث إلا عندما تبلغا سن الثلاثين من عمرهما، ومنذ شهر تقريباً بلغت كلار هذا السن لذا أصبحت حرة التصرف بميراث والدتها. كما أن الحصة لكل منهما كانت كبيرة جداً حيث أن كوين شقيقهما توفي واقتسمتا ما كان مخصصاً له فتذكرت جيني في هذه اللحظات بأنها لن تستلم شيئاً من حصتها قبل مرور سبعة سنوات، لكن ذلك لم يكن يهمها لأنها لم تكن بحاجة لأي شيء في الوقت

www.liilas.com

الحاضر، فمن مدخولها الشهري من شركة كيرني جعلها مستقلة مادياً ولولا مرض والدها، لكانت استقلت في حياتها أيضاً.

تابعت كلار تقول بنبرة هادئة مع أنها لم تكن تنعم بالهدوء في داخلها: «كل شيء بدأ منذ ذلك الحين، وكنت أعلم بأن أليكس يعاني من مشاكل مادية، فالمطاعم التي أسسها لم تكن تعمل جيداً وكان مبذراً حتى أنه قضى على كل شيء كنا نملكه.»

وبعصبية، أخذت كلار تلف ربطة شعرها الذهبية حول اصبع يدها، فلاحظت جيني بأنها لا تضع خاتم الزواج فيه، وتساءلت هل جلبته معها إلى هذا الكوخ أم تركته في منزلها في نيويورك.

وتابعت كلار: «على كل، لم أكن أعلم سوء طبيعة هذه المشاكل إلا عندما استحقيت ميراث أمي، فطلب مني المال المال كله.»

«كله، كله.» قالت جيني ذلك وقد شعرت بجفاف في حلقها، فالمبلغ يفوق المليون دولار تقريباً.

أومأت كلار برأسها بالايجاب قائلة: «قسماً من المبلغ كنّا استدناه من المصرف وعلينا أن نعيده إليه، وقسماً آخر استدانه هو من أجل مطاعمه التي تكلف كثيراً، أما القسم الباقي والأخير...» توقفت والدموع تترقرق في عينيها ثم تابعت بغصة: «لأناس، هل عرفت ماذا عني؟ لأناس رهيبين.»

نفت جيني بحركة من رأسها وقالت بدهشة: «لا، لا أعرف، هذا جنون، هل تحاولين القول بأن أليكس استدان

مالاً من...» توقفت وقد شعرت أنه من السخافة أن تتلفظ بتلك الكلمة، خاصة أنهما تعودان لعائلة محترمة مثل عائلة كيرني وتابعت تستفهم من شقيقتها أكثر: «تعنين من عصابة ما؟»

ضحكت كلار على نحو هستيري متقطع ثم قالت: «لا، لا أعرف، ليس بالتمام. لقد قال أليكس بأنه أخذ مالاً من أشخاص فقد الثقة بهم الآن، وقال أيضاً بأنهم أصبحوا يخيفونه وعليه أن يعيد لهم المال في الحال.»

«وماذا قلت له؟ هل أعطيته المال؟»

نفت كلار برأسها قائلة: «لا، بل غضبت خاصة وأنني كنت قد عرفت بأنني حامل.» وبحركة لا شعورية رفعت يدها إلى بطنها وتابعت: «لقد جننت وثرت لعلمي بأنه سيضيع ميراث طفلنا بهذه الطريقة، ولم أكن لطيفة معه يا جيني.»

كان بإمكان جيني أن تتصور كم يكون غضب كلار مدمراً في مثل هذه الحالات، لكن ألم يكن أليكس يستحق ذلك منها؟ فالمبلغ ضخم، مليون دولار!

تنهّدت كلار بعمق لتتمكن من متابعة كلامها وقالت: «ولم نكن نتكلم مع بعضنا كثيراً في الآونة الأخيرة، وبعد ذلك بيومين، بينما كان أليكس في عمله، جاءني اتصال هاتفي من رجل مجهول قائلاً لي انه من الأفضل أن أعطي المال لأليكس.»

أخذت شفتا كلار ترتجفان عندما وصلت بكلامها إلى هذا الحد، لكنها تابعت بارتعاش: «كان صوته مخيفاً وكان في نبرة كل كلمة قالها تهديداً ووعيداً، ومما قاله

www.liilas.com

أيضاً بأنه وفي كل الأحوال يمكنني أن أستمر في عنادي ما شئت لأن أليكس سيرث كل شيء مني... لو حدث أي شيء لي.»

خيّم صمت مخيف في الكوخ بعد كلام كلار المروع، فاضطرت جيني لأن تتمسك بالمقعد جيداً كي لا تهوي على الأرض.

ثم همست بضعف: «آه لا يا كلار لا.»

«نعم.» قالت كلار وقد بدت عليها القوة الآن، وكأن سرد هذه القصة جعلتها سهلة القيادة وتابعت: «من الواضح أن ذلك كان تهديداً، فهؤلاء الأشخاص يريدون حصتي من الميراث وعازمون على الحصول عليها بطريقة أو بأخرى. ولا أنكر عليك من أنني خفت كثيراً، فهربت وأوكلت تحرياً ليعرف لي هوية هؤلاء الأشخاص، وها أنا أنتظر هذه المعلومات منذ ثلاثة أسابيع في هذا الكوخ الكئيب، لكن يبدو أنه من الصعب الكشف عن هويتهم، ولكنني أعرف الآن لماذا يا جيني، لأنني بت أعرف من يكونون.»

حدّقت جيني بشقيقتها غير راغبة بالسؤال عن هوية هؤلاء الأشخاص، لأنها لا تريد أن تعرف. فمهما كانت هويتهم، فإن ذكرهم الآن قد يسيء إلى شقيقتها أكثر من الاساءة التي هي عليها الآن والتي جعلتها تبدو أكبر من عمرها بعشر سنوات. فعضّت على شفتها السفلى وكأنها ترجو بذلك أن تتوقف كلار عن المتابعة وحبست أنفاسها بقلق.

لكن كلار خيّبت أمالها وتابعت تقول: «إنهم نفس

الأشخاص الذين كانوا يملكون المستودع حيث قتل كوين يا جيني، إنها عائلة ميتشل.»

* * *

كان مايكل مستيقظاً معظم ساعات الليل ينتظر عودة جيني يحدّق من نافذة غرفة نومه بالنجوم التي كحلت سواد ذلك الليل.

أخيراً، وعند اقتراب انبلاج الفجر، سمع الصوت الذي كان ينتظره طوال الليل، إنه محرّك سيارة جيني وتوقفها، وخروج جيني من السيارة، ثم وقع خطواتها وهي تصعد السلالم إلى المنزل.

لقد عادت جيني، عادت بأمان.

جلس على كرسي في الغرفة ونظراته متجهة إلى الباب، لقد حافظ على وعده لها ولم يلحق بها، كما أنه انتظرها طوال الليل بقلق وإحباط، أما الآن فهو يريد منها أن تأتي إليه، إنها تدين له بذلك.

وأخذ يراها بعين الخيال تتجه إلى غرفته لتقرع بابها ولتخبره بكل ما حدث لها مع كلار بينما في سره يحثها قائلاً هيا جيني تعالي...

لكنها لم تستجب إلى نداءاته، وسمع وقع خطواتها باتجاه غرفتها التي فتحت بابها وأغلقته بلطف. شعر عند ذلك بغضب لم يتمكن السيطرة عليه وبالخداع في عدم مجيئها إليه على الفور.

لقد أصبح الجرح عميقاً في صدره يصعب وصفه، فأخذ يضغط على نفسه كي يتنفس بشكل طبيعي، لكن

www.liilas.com

باءت محاولاته بالفشل وتأكد عند ذلك بأن الشيء الذي كان يقلقه طوال فترة بعاده عنها، أنها لن تسامحه ولن تثق به بتاتاً.

قام عن الكرسي يسير في الغرفة جيئة وذهاباً ثم نظر إلى الساعة الموجودة إلى جانب سريره، إنها الرابعة والنصف صباحاً، ولقد تأخرت جيني إلى هذا الوقت ولم تكلّف نفسها بتقديم أية تفسيرات له حول هذا التأخير.

طوال ساعات غيابها العديدة، كان في حالة لا يُحسد عليها من القلق والارهاق من الأفكار السوداء التي أخذت تروح وتجيء في رأسه لدرجة أنه شعر بأنه قد ينفجر في أية لحظة. أما الآن وبعد أن اطمأن لعودتها بالسلامة، تحوّل قلقه إلى غضب شديد وثورة وكأنه مستعد للقتال لعدم توجهها إليه ولا بكلمة واحدة.

ودون أن يدري ومن كثرة سخطه ونقمته، توجه إلى الباب. وما ان أمسك بمقبضه، حتى أدرك بأنه لا يمكنه أن يتوجّه إليها. لماذا يتنازل عن كرامته ويذهب إليها متوسلاً كي تفيده بالمعلومات التي يريدها؟ فهي التي تدين له وليس هو. فقد قام لها بأمر هذه الليلة لم يقم به لأي كان منذ ستة سنوات، إنه سمح لقلبه وعواطفه بالتصرف متنازلاً عما كان يفرضه عليه عقله وواجبه المهني، فإذا كانت لا تقدّر هذه المبادرة فيه...

عليها أن تدرك وأن تعي بأنه ليس بحيوان أليف تأمره ساعة تشاء بأن يجلس أو يتوقف أو يذهب. ولكن إن لم تدرك ذلك، سوف يجعلها ترى بأم العين كيف أن مثل هذه الامتيازات التي خصّصها بها نادر حدوثها. ومنذ هذه

اللحظة، سيبدأ بالقيام بوظيفته بأمانة وعناد عنيف دون أن يسمح لعواطفه بالتدخل، وسيجد كلار كيرني حتى لو كانت تختبىء في كهف من كهوف القمر. رفع سمّاعة الهاتف وأخذ يطلب الأرقام، آملاً في أن تنعم جيني بنوم هادىء لأنه في الغد وعندما يجيء، لن يبقى سر غير مكشوف في ولاية تكساس طالما هو موجود.

www.liilas.com

الفصل التاسع

استيقظت جيني من نومها في صباح اليوم التالي ولم تبرح منزلها الا في المساء، لكن هذه المرة لم يبقَ مكانه بل لحق بها على الفور. وخلال عشر دقائق من ملاحقته لها، أدرك المكان الذي تقصده وهو سيلفر بالمز، فهي منطقة لا يسكنها سوى العديد من الأطباء والمحامين وبحسب المعلومات التي توصل إليها مايكل، ان براد ماكينتوش يسكن هناك ايضاً.

لوى مايكل بشفتيه امتعاضاً، اذاً فهي تريد وبحماس، ان تطلع براد على كل التفاصيل التي كان يودّ ان يسمعها منها ليلة البارحة، وقد انتظرها كالمغفل طوال الليل ليسمع منها تلك التفاصيل.

لكنه هذه الليلة لن يسمع لنفسه بأن يكون ذلك المغفل، كما انه لن يسمح لعواطفه بأن تخذله وسيساعده في ذلك سنواته الطويلة التي منحته الخبرة في التعقل ولجم عواطفه، فأقصى قلبه عن وظيفته ليستلم العقل في السيطرة التامة على كافة اعماله ومشاكله الحياتية اليومية.

ولكن ما لم يكن يتوقعه في تلك المنطقة الخاصة التي دخلها والذي ادمى قلبه، وجود الأولاد الصغار وهم يمرحون مع ابائهم، بينما الأمهات يبتسمن لهم بفرح.

وشعر بالألم في الحال، انها سنة الحياة التي كان يحلم بها ويريد تحقيقها في الشهور الأولى لزواجه من

بروك، لكن الحادث الذي اودى بحياتها جعل النهاية الفاصلة لذلك الحلم. وها هو اليوم يعيش في منزل صغير يوجد في الناحية الخلفية منه حديقة صغيرة تغطيها الأعشاب. فتساءل في نفسه لماذا يجز تلك الأعشاب ويعتني بتلك الحديقة طالما انه لن يتزوج وينجب اولاداً يلعب معهم.

أوقفت جيني سيارتها امام بيت براد الذي كان بانتظارها فشعر مايكل بالغضب، ولكنه تمالك نفسه حتى لا يسرع الى براد ويصفعه صفعة حادة على وجهه.

انتظر مايكل في سيارته بصبر وطول اناة، وعلى التوالي، أخذ الأولاد الذين كانوا يلهون بمرح، بالدخول إلى بيوتهم وأذنت الشمس بالمغيب وهي تغمر بلون أشعتها القرمزي المنازل والساحات. فتساءل، ماذا يفعل براد وجيني في الداخل يا ترى؟ لقد توقع ان يخرجا لتناول طعام العشاء في الخارج، لكن بقاءهما في الداخل جعله يتصورهما في المطبخ يعدان الطعام وهما يتكلمان ضاحكين.

أو هل انهما يا ترى يجلسان في الباحة الخلفية للبيت يراقبان مغيب الشمس؟

استرعى انتباه مايكل امر مما جعله يشعر كم انه وللمرة الثانية غبي احمق. واخذ يحدق ببيت براد، ان الباحة الخلفية تؤدي مباشرة إلى الخليج الصغير لمكسيكو، يا لها من طريقة ممتازة لتهرب منه.

أخذ يلعن الحظ من بين انفاسه الساخطة، وخرج من السيارة بسرعة، فهو ومنذ وقت طويل لم يقم بخطأ مماثل،

www.liilas.com

وكان يتوجب عليه منذ دخول جيني إلى بيت براد، ان يتصل بمساعده ليراقب الناحية الخلفية، لكنه جلس ينتظرها ببرود لبضع ساعات وهو يحدق بالبيت عاقد الحاجبين وكأنه صديق غيور يلاحق تحركات صديقة له.

تضايق وشعر بالاشمئزاز من نفسه. فخرج من السيارة بسرعة ليدور حول المنزل قائلاً في نفسه ربما تكون قد ذهبت منذ ساعات عديدة وهو قابع في السيارة ينتظر خروجها، وتساءل، لماذا لا يعود محترفاً وخبيراً في عمله عندما يكون الأمر يخص جيني؟

لكنه كان محظوظاً، فقد وجدها في الباحة الخلفية من المنزل تتكىء على الدرابزين وشمس المغيب حولت شعرها الأشقر إلى لون نحاسي.

كانت تحدق في البعيد دون حراك ولمدة طويلة، مما جعل مايكل يتساءل عن الذي تطيل التحديق به، فحول نظره ولم يرَ في الاتجاه الذي تنظر إليه سوى الأفق ولون البحر الذي صبغ بفعل مغيب الشمس. كما شاهد أيضاً بعضاً من الجزر المترامية هناك والتي من المؤكد ليست بالمشهد الذي يثير الاهتمام.

إلا... إلا إذا كانت كلار موجودة هناك في احدى تلك الجزر. فأعاد النظر بحماس واهتمام يتذكر ما قاله له عامل المحطة من وجود رمل في سيارة جيني، ثم أخذ يحك دماغه ليتذكر كم عدد الجزر هناك وإن كان هناك جزيرة واحدة فقط يمكن ان توفر الراحة والرفاهية والتي تناسب كلار.

لكنه لم يتذكر شيئاً، وكأن عقله الباطني يرفض أن يتذكر

أحداً عدا جيني، فنظر إليها مطولاً يمنع نفسه من العودة إلى سيارته حيث يضع الخارطة التي تدله وتعطيه الجواب على اسئلته. وبقي مكانه ينظر إلى جيني.

ما زالت جيني التي يعتبرها اجمل فتاة وقعت عليها عيناه. شعر بانقباض في نفسه عندما وصل بتفكيره إلى هذا الحد، وعض على شفته ليمنع شفتيه من النطق باسمها.

«جيني.» لكن المنادى لم يكن مايكل بل براد الذي نادى عليها بغيظ واضح، ثم تابع: «جيني، هيا ادخلي.»

التفتت جيني لندائه وتطايرت خصلات شعرها الذهبي بروعة وجمال ثم ظهر براد بعد ذلك.

«جيني...» هذه المرة نادى مايكل بصوت منخفض لكن ملح وكأن دموعه ستسقط بين لحظة وأخرى.

لكنها وبطبيعة الحال لم تتمكن من سماعه وبدا عليها الخوف فكأنها طفلة صغيرة بينما وقف براد ينتظر اية مبادرة منها.

«جيني.» عاد مايكل يهمس باسمها بتوجع والم وبحلق جاف. وتساءل لماذا تقف مع براد؟ وما الذي يجمعهما يا ترى؟ مع انه كان يعتقد انها تميل إليه هو تلك الليلة وليس لبراد.

كانت قد اصبحت الساعة الرابعة من الصباح تقريباً عندما وقفت جيني لتفرك عينيها وهي تشعر كأنها لم تنم منذ اسبوع كامل.

بينما كلار التي جاء بها براد في وقت مبكر من هذا الصباح، تشعر بالارهاق الشديد والنعاس، فاستوت جالسة

www.liilas.com

على المقعد ورفعت رأسها عندما ادركت بأن جيني ستغادر المكان، وقالت: «إلى الغد إذاً؟»

ابتسمت جيني وقالت: «نعم، حاولي ان تنامي قليلاً، لقد قال براد بأنه سيوقظك في الساعة الثامنة ليعيدك إلى الكوخ في ستيوارت روست، احزمي امتعتك بأسرع ما يمكن، وسأكون هناك حالما اتمكن من ذلك.»

طأطأت كلار رأسها باذعان، وشعرت جيني بموجة من الاحترام تجاهها بعدما تمكنت من اقناعها طوال هذه الليلة الرهيبة بأن تتخلى عن شعورها بالتعالي والكبرياء وبأنها هي الأميرة وعلى من حواليها طاعتها وتنفيذ اوامرها. فهذا انجاز مهم بالنسبة لجيني لأنه قد يحل صعوبات كثيرة.

لقد امضت الساعات الطوال من هذه الليلة لتقنعها بالخيارات المتوفرة وتناقشتا كثيراً في الأمر الذي قد يصبح اسهلا لو ان كلار تتنازل عن كبريائها وتعاليها. والجدير بالذكر، ان تحري كلار الخاص ما زال يبحث عن المعلومات، ولكنه اذ لم يأتِها بشيء في اقرب وقت، فإنهما اي جيني وكلار يعلمان بأن شيئاً مؤذياً وقاسياً قد يحدث، خاصة وان كلار لا يمكنها ان تستمر في حياتها تهرب من مكان لآخر.

لقد تناقشتا بموضوع الطلاق ايضاً، لكنه لوحظ بأن كلار ممانعة لذلك، لأن المعاملات قد تطول قبل ان تجد الحماية لنفسها. هذا وبالاضافة، متى عرف الأخوة ميتشل بمعاملات الطلاق، سوف يفعلون ما في وسعهم كي لا يفلت ذلك المال من بين ايديهم.

في النهاية، قررتا انه من الأسلم والأضمن ان يحول الميراث إلى اليكس، ومما قالته كلار بهذا الخصوص بطريقة حازمة: «انه مال فقط يا جيني، فلا يستحق ان نموت لأجله.»

لقد هربت كلار في المرة الأولى مع انها لم تكن متأكدة بأن الوعود التي قطعت على الأخوة ميتشل ستسعدهم او تنال رضاهم. كما انه لا اليكس ولا جيني ساورهما الشك مرة. بأن كلار قد تكون في حالة من الخطر الشديد. لقد شاهدا الأخوة ميتشل اثناء التحقيق في مقتل كوين ولم تغيب عن ذاكرتهما وجوههم القاسية وكيف تمكنوا من التأكيد للمحقق بأنهم كانوا في مكان آخر ليلة حدوث الجريمة والسرقة، لكن جيني عرفت بأن الشرطة لم تتوقف عن استجوابهم لفترة طويلة.

لذا، وإلى ان يحول ذلك الميراث وينتهي امره، على كلار ان تتابع حماية نفسها. وقررت مع جيني بأن ينبغي عليها الانتقال إلى مدينة أخرى، أو ربما من الأفضل إلى ولاية أخرى، فقد كان من الخطورة والغباء ان تختبىء في مكان قريب من شقيقتها، ذلك لأنه من اراد العثور عليها، عليه ان يبدأ بأحد افراد العائلة. اما الآن، وبعد ان عرفوا مع أي نوع من الاشرار تتعاملان، على كلار ان تتنازل عن تعاليها والرفاهية التي تنعم بها والتي لا تستحق ان تجازف بحياتها من اجلها.

حملت كلار وسادة الأريكة وأخذت تديرها من جنب إلى آخر باضطراب قائلة: «ماذا بشأن مايكل؟ هل ما زلت على رأيك بأن تطلبي احدهم ليتحرى عنه؟»

www.liilas.com

«يجب يا كلار، يجب ان اعرف عنه كل شيء.» اجابت جيني دون ان تنظر إلى شقيقتها وقد تعبت من المناقشة معها، وكانت كلار قد ناقشت هذا الأمر قبل الآن بشدة قائلة بأن أمر مايكل ليس بهذه الأهمية لتضييع الوقت من اجله الآن. لكن وبالرغم من معارضة كلار، قررت جيني بأن تكلف تحرياً خاصاً ليأتي لها بمعلومات عن حالة مايكل المادية.

اما كلار والتي اصبحت في حالة ارهاق شديد، وبعد تلك المناقشة التي دامت اكثر من ثلاث ساعات اجابت بوهن: «لماذا؟ لقد سبق لنا واتفقنا بأنه لا يمكن ان نجازف وان نثق به. كما واننا نعرف قيمة بوليصة تأمين كوين والتي لا تكفي لافتتاح مطاعم اليكس، وكذلك لا تكفي لما يبدو على مايكل من رفاهية الآن. آه يا جيني، لماذا يهمك هذا الأمر إلى هذه الدرجة لتتأكدي وتثبتي بأنه لم يكن متورطاً مع الأخوة ميتشل؟»

لكن جيني لم تجب، كما انها لم تكن متأكدة لماذا لا تريد الاجابة، وكل ما كانت تعرفه أنها تريد ان تكتشف سر كل ذلك. سر نجاحه الكبير هل كان بواسطة الأخوة ميتشل؟ هل كان ثمناً لدم كوين؟

هذا ما فكرت به كلار واوضحته امام جيني التي ابدت امتناعها عن الاجابة قبل ان تتأكد بنفسها من حقيقة كل هذه الأمور. وسألت نفسها والحديث هنا عن جيني، هل من الممكن ان تتقرب من شخص يشتبه به بأنه قاتل؟ لكن ثمة شيء في داخلها كان يصرخ ويصرخ بأنه من المستحيل ان يكون مايكل قاتلا انما رجاحة عقلها وكذلك شقيقتها يقولان

لها وبالحاح، بأن من عادة النساء في كل انحاء العالم، ان يثقن بالسيئين من الرجال في كل يوم.

جلست جيني باعياء على المقعد بعد ان كانت قد قررت الرحيل عن هذا المكان وقد شعرت فجأة باختناق شديد. الحب، وترقرقت دمعة في عينها وشعرت فجأة بقلبها مثقل بالاحزان والآلام والحيرة، الحب، كم أن هذه الكلمة قاسية احياناً.

«اعتقد بأنني اميل إليه يا كلار.» قالت جيني ذلك بصوت متهدج وهي تنظر إلى وجه شقيقتها القلق من خلال دموعها، فأدركت ما قد يعني كل ذلك بالنسبة إليها والتي من المؤكد ستعتقد بأنها فقدت عقلها. فعادت جيني تساءل نفسها، كيف يمكن أن يكون صحيحاً كل ذلك؟ وكيف يمكن أن تكون كلمة الحب مرتبطة بمايكل وينترز؟ مع انها كانت ولفترة طويلة قد كرهته وكرهت اسمه.

أخذت كلار تمر يدها بلطف على خصلات شعر جيني وقالت بنفي قاطع: «آه لا يا عزيزتي، انك لست مغرمة به، ولطالما كنت مفتونة به يا عزيزتي ولا شيء أكثر من ذلك، ولما لا؟ فهو شاب جميل يستحق النظر اليه. كما انك قلت بنفسك بأنه مفتون بك وهذا أمر بعيد جداً عن الحب الحقيقي.»

وتابعت كلار تتصنع الابتسامة التي لم تخف خوفها وقلقها: «لم تعودي صغيرة يا جيني، ولا انكر انه من الطبيعي ان ينشأ شيء من هذا في داخلك من ناحيته، لكن لؤكد لك بأنه ليس الحب، ولا عليك ان تنسي ما حدث لكوين من الأخوة ميتشل المروعين.»

www.liilas.com

«انني لم انسَ شيئاً.» قالت جيني ذلك وقد شعرت بالقشعريرة الباردة من ذكرى ذلك، ولطالما عرفت كلار النقاط الضعيفة في شقيقتها الصغيرة فتجابهها بها كلما دعت الحاجة. لكنها اي جيني، كانت تعلم بأن كلار لا تنطق بسوى الحقيقة، فشعورها بالحب تجاه مايكل كان امراً جنونياً خاصة في هذه المرحلة التي يشك بها بأنه متواطىء مع الأخوة ميتشل.

إنه أمر قضى على كل شيء كانت تثق به دائماً. فبطريقة ما وفي احلامها، كانت تعتقد بأن الحب يعمي البصر والبصيرة ويبعد المرء عن الواقع، وكانت تتصور رجل احلامها دائماً بالاستقامة وبالمثالية ليستحق كل احترام وتقدير منها.

ادركت الآن كم انها كانت غبية بكل ما في هذه الكلمة من معنى. فالحب امر خطير وليس لعبة نلهو بها كأي طفل يفرح في الذهاب إلى مدينة الملاهي. الحب مشاركة بالحياة والمشاعر، فلو كان الحبيب يعاني من اخطاء قد يكون ارتكبها، فعلى الحبيبة ان تقف الى جانبه لتخفف عنه وتشاركه معاناته حتى لو كانت تلك الاخطاء جسيمة ويستحق المعاقبة عليها.

عند ذلك، قالت جيني باندفاع وقد امسكت بيد شقيقتها: «ربما هذا ما يسمونه بالحب. ان يحب المرء بالرغم من الاخطاء التي يلمسها، ويقتنع ربما بأنها امور تخصه واجزاء لا تتجزأ منه وبأنه مهما فعل لن يتمكن من الافلات منها.»

فتابعت كلار عنها قائلة: «أو ربما تمكن أن يجذبك

بعينيه البنيتين لدرجة انك لم تتمكني في رؤية الأمور بوضوح وبمنظار افضل.» وابتسمت بعد ذلك باشمئزاز وهي تضغط على يد جيني بلطف كأنها تهون وقع الكلمات عليها.

قرأت جيني من نظرات كلار التعيسة بأنها فهمت وادركت ما تعنيه شقيقتها والتي هي قد وقعت في نفس فخ الحب.

ثم سألتها جيني بلطف: «ماذا بشأن اليكس؟ انك ما زلت تحبينه بالرغم من كل شيء، اليس كذلك؟»

حاولت كلار ان تومىء برأسها، لكن الدموع ترقرقت في مقلتيها، فتحولت تلك الايماءة وبطريقة مفاجئة إلى اذعان وموافقة. لكن بعد ذلك لم تتمكنا من السيطرة على نفسيهما، فاحتضنتا بعضهما بقوة وكأنهما غريقتان يائستان من النجاة وسط العاصفة، ثم قالت كلار، وهي تجهش بالبكاء: «نعم انني ما زلت احبه... انني حقاً ما زلت احبه.»

أخيراً، خرجت جيني لتعود الى منزلها، وعرف مايكل كم كانت الساعة دون ان يكلف نفسه وينظر إلى ساعة يده الثمينة، لأنه كان طوال الوقت ينظر إليها كل خمس دقائق تقريباً. لقد اصبحت الساعة الرابعة والربع من الصباح، اذاً لم تمضي سهرتها مع براد، لكن اتعتقد ايها القارىء بأن مايكل ادرك ذلك؟

فبعد ان رافقها براد الى الخارج مودعاً، غرق منزله بالهدوء والظلام. في البداية، تألم مايكل وعذب نفسه بالصور التي صورها له عقله بدافع من الغيرة عليها عما

www.liilas.com

يمكن حدوثه من وراء تلك الجدران وهي مع براد، لكنه وصل أخيراً الى حالة لم يعد قادراً فيها على التحمل أكثر من ذلك كمن فقد عقله من الغضب الشديد الخطر.

وعندما وجدها تمشي ببطء باتجاه سيارتها، مدّ يده بانفعال ليضيء مصابيح السيارة، فأسقطتها هذه الأنوار بفخ لم تتمكن من الخروج منه، فاستدارت بسرعة لترى ما قد يكون ذلك والخوف الشديد يسيطر عليها.

ادركت بعد لحظات قليلة من صاحب تلك السيارة، فانزلت يدها ببطء الى جانبها بينما قست ملامح وجهها. نظرت إليه نظرة طويلة خالية من العاطفة. ولم تستطع الوقوف اكثر من ذلك فاستدارت بهدوء وادخلت المفتاح في باب السيارة، دخلت اليها وادارت محركها ثم انطلقت بسرعة وجنون.

وبحافز من غضبه الشديد، اتجه رأساً اليها واصبح قريباً منها وكأن السيارتين مربوطتان بسلسلة من حديد. لكن وبدهشته الشديدة، اكتشف انها ليست متجهة باتجاه المنزل بل انحرفت إلى الطريق التي تؤدي إلى المدينة. كانت تقود سيارتها بسرعة هائلة، ولكنه بقي يسير وراءها تماماً، فقد كان يلاحقها بوحشية وبغضب.

كانت متجهة الى مبنى شركة كيرني، وعندما وصلت الى هناك، اوقفت السيارة في الشارع واسرعت لتفتح باب المدخل بمفتاحها الخاص واقفلته بسرعة بوجه مايكل الذي كان على بعد خطوتين منه. لذا كان عليه ان يستعمل هو الآخر مفتاحه الخاص الذي اعطاه اياه آرثر

في الليلة الأولى لوصوله الى هيوستن. وعندما فتح الباب، كانت جيني قد اصبحت داخل المصعد، وبلمحة سريعة، تمكن مايكل من رؤية ملامح وجهها الغاضبة والعنيفة.

أبرز هويته للحارس الأمني للمبنى ولم ينتظر نزول المصعد بل صعد السلالم آملاً من ذلك ان يزيل التشنج الحاصل في قدميه من اطالة جلوسه في السيارة، وتمكن من الوصول الى الطابق الثالث بعد ثانيتين فقط من وصول المصعد الذي فيه جيني والتي وجدها تخطو بخطوات واسعة باتجاه غرفة مكتبها.

انعكس على اعصابه المتنافرة والثائرة انعكاساً مزعجاً من جراء صرير باب غرفة مكتبها ومن ثم اقفاله بهدوء، وفكر بغضب وعزم شديدين، لا يا جيني، لن يكون الأمر بهذه السهولة التي تتصورينها.

كان يملك مفتاحاً لهذه الغرفة لكنه لم يستعمله بل طرق ثلاث مرات على الباب، وثلاث مرات اخرى اشد من المرات الثلاث الأول، ولما عاد ليحاول من جديد، فتح الباب فجأة لكن ليس على مصراعيه وظهرت تقف في الفتحة الضيقة دون ان تضيء انوار المكتب.

بدت كالشبح في تلك العتمة المظلمة وقالت: «دعني يا مايكل، انني هنا لاقوم ببعض المهمات، فلو اردت ان تنتظرني، لن يمكنني ان امنعك، حتى وانني لا املك القوة لمحاولة ذلك، فقط اطلب منك ان تدعني وشأني.»

كان في صوتها نبرة الانهزام، حتى انه كان بامكانه ان يشعر بأنها مرهقة الى حد بعيد، وبأن هناك قلق شديد

www.liilas.com

في داخلها اظهرته الكلمات التي نطقت بها برعشة واضطراب.

انه هو الآخر مرهق ومتعب لدرجة انه لم يتمكن من التكلم بلطف حين قال: «دعيني ادخل يا جيني، يجب ان نتكلم.»

حدقت به، فأدرك بعد ان فهم من ملامح وجهها بأنها تعاني من شيء أكبر من القلق فقط. قد يكون الخوف هو التعبير الأصح للحالة التي تعاني منها، فشعر للوهلة الأولى بالعار تجاه نفسه من الطريقة التي لحق بها إلى هذا المكان والتي اخافتها وجعلتها تبدو شاحبة الوجه كالأموات.

تململت في وقفتها بحركة غريبة غير متوازنة، وعندما حول نظره إلى الأسفل، لاحظ بأنها كانت تنتعل حذاء واحداً وقالت: «لدي عمل لأقوم به، كما انه لا يوجد شيء بيننا لنتكلم فيه.»

بدت وهي تكلمه بأنها تنظر إلى ما ورائه وليس إلى وجهه مباشرة، فقاوم الرغبة الملحة في ان يمسك وجهها بين يديه ليجعلها تنظر في وجهه لتعرفه أكثر وكذلك لتدعه يدخل إلى الغرفة.

ان مهنته تتطلب منه ضبط النفس كي يصل إلى ما يرجوه، فأمسك الباب وفتحه بهدوء دون ان يدفعه بقوة، فقط ليحذرها بأن بامكانه ان يكسره متى اراد اذا كانت تعتقد بأنه سيحميها منه.

ثم قال يحذرها بهدوء: «اعتقد ان هناك كلام بيننا.»

احتقنت عيناها بغضب شديد وكأنها تطلق ألسنة من النار

وأمسكت الباب باحكام خوفاً من ان يدخل الغرفة عنوة. ثم قالت: «لا، كما انني اشعر بتعب شديد هذه الليلة يا مايكل، آسفة.»

فأجابها بعصبية ظاهرة لكن بصوت منخفض: «جيني، كلميني فأنا لن الحق بك الأذى.»

كلامه الأخير استرعى انتباهها، فحولت نظراتها اليه وأخذ قلبها ينبض بشدة وهي تقول دون ان تبتعد عن الباب: «حسناً، تكلم لكن بسرعة ارجوك، فأنا متعبة.»

صدقها ولم يشك بأنها تخادعه لأن ذلك كان يبدو بوضوح على وجهها.

بدت ضعيفة وعرضة للسقوط في اية لحظة، فشعر بشيء يحترق في صدره مصدره الشفقة والألم لأجلها. لكنه تذكر بعد ذلك سبب الحالة التي تعاني منها، تذكر بأنها كانت ساهرة طوال الليل، فتحولت شفقته وألمه عليها إلى غضب وحقد.

ضغط بأصابع يده بقوة أكثر على الباب الخشبي وقال وقد اصرّ بأسنانه: «انك تدينين لي يا جيني، تعلمين بأنك تدينين لي.»

رفعت حاجبيها بتعجب وقالت وقد استردت شيئاً من كبريائها بعدما سمعت نبرة صوته المتحدية: «هل انني فعلاً كذلك؟ من اجل ماذا؟»

«لأنني تركتك تذهبين إلى كلار.»

اهتز الباب قليلاً من كثرة ما ضغط عليه بأصابعه، فلفت نظرها ذلك مما دعاها لأن تبلع بريقها خوفاً، وعادت تنظر إليه قائلة: «تقول لأنك تركتني اذهب؟»

www.liilas.com

أجابها ببرودة شديدة: «تماماً.»

كان قد نسي كم تبدو عائلة كيرني متعجرفة كلما تملكهم الغضب من شيء. وها هي جيني ترفع حاجبيها بعض الشيء على نحو ازدرائي. لقد بدت، وقد لاحظ بنفسه، بأنها تشبه كلار كثيراً وهي على هذه الحالة، عدا ان شفتيها ارتجفتا قليلاً مع انها حاولت جهدها ان تخفي ذلك الارتجاف من فرط تأثرها.

ثم قالت والكلمات تخرج من بين شفتيها بارتجاف وخوف: «لا انكر بأنك وضعت سعراً على تعاونك، كما انني لا انكر بأنني وافقت على ان تشتري مني حريتي.»

شراؤها؟ اراد لو ان بامكانه ان يضرب شيئاً بقبضة يده لشدة انفعاله، فحول نظره إلى الباب متسائلاً لو انه يخلعه خلعاً من مفاصله لعله بذلك العمل يرتاح ويشعر بشعور افضل، لأنه من الواضح أنها تريد ان تحرف معاني كلماته.

حاول المستحيل كي يحافظ على اتزانه ورجاحة عقله قائلاً: «إنني لا اتكلم عن الدفع يا جيني، وانت تعرفين ذلك حق المعرفة. انني اتكلم عن الثقة، كما انني اتكلم عن العرفان بالجميل.»

الملامح التي بدت على وجهها منذ لحظات، اختفت الآن واضمحلت، وملامح أخرى مريرة حلّت محلها. كما بدا الغضب الساطع الذي كان من سيماء جيني.

تماوجت عيناها بدموع ثائرة وقالت بصوت متهدج: «ارفض أن أكون ممتنة لك لأنك منحتني استقالتي وحريتي التي لا يحق لك ان تأخذها مني في المرتبة الأولى.»

حرك رأسه بعصبية لكن غضبه خف قليلاً بعدما لمس شعلة ثورتها وقال منادياً باسمها كأنه يوقفها عن قول التفاهات: «جيني، جيني.» وفي رأسه تساؤلات عدة. منها كيف حصل كل ذلك؟ فقد كانت ممتنة وذلك في البداية على الأقل. حتى انها بدت وانها ادركت كم ان الورطة التي يتخبط فيها صعبة، ومع ذلك قام بمراضاتها وسمح لها بالذهاب إلى كلار واعداً اياها بأنه لن يلحق بها وخالف بذلك المهمة التي جاء من اجلها. فما الذي جرى وجعلها تتبدل من تلك المرأة الطيبة والرقيقة إلى امرأة ثائرة وحاقدة؟

لكنها لم تكن راغبة في الاصغاء إليه حين قالت: «هل تعتقد بأنني ادين لك؟ حسناً، حسناً، سأدفع لك لكن ليس مالاً. بل نصيحة ثمينة، تراجع عن مهمتك. أنت ووالدي تعتقدان بأن كلار تقوم بعمل اخرق، لكنكما على خطأ. لقد هربت من اليكس لأنها خائفة منه فهي لا تثق به، ولن تعود إليه الا عندما تكتشف الشيء الذي كان ينوي عليه طوال تلك السنين.»

عقد مايكل حاجبيه وقد ادهشته كلماتها، طوال تلك السنين؟ وما الذي تفكر كلار به؟ فسألها مستفسراً: «ماذا تقصدين بالذي كان ينوي عليه؟»

اجابته بمرارة وألم: «اعتقدت بأنك عرفت ذلك قبل الآن، اعني بأن اليكس يدين بالمال... بالمال الوفير لاصدقائك الأخوة ميتشل.»

صعق واندهش من كلامها الأخير الذي كان حاداً كحد السيف، واصابه دوار من كثرة الأفكار المتضاربة برأسه.

www.liilas.com

انه لم يسمع باسمع الأخوة ميتشل منذ سنوات بعيدة، لكنه شاهد وجوههم في احلامه. ما الذي جعل اليكس يتورط مع هؤلاء السفلاء؟ على اية حال، فمهما كان الأمر، ما من سبب يدعو جيني وكلار حتى يتورطا فيه.

ثم قال بالحاح: «اسمعي يا جيني، اذا كان الأخوة ميتشل متورطين في هذه القضية، فأقول لك ان الأمر في غاية الخطورة.»

أجابته مبتسمة بسخرية: «نعم ان الأمر كذلك، وهذا ما اردت قوله.»

«جيني، ان كانوا حقاً كذلك، فأنت وكلار ليس بقدرتكما معالجة الأمر وتدبيره بمفردكما، ومن الجنون ان تحاولا دون اية مساعدة.»

نظرت إليه ببرود وهي تهزّ كتفيها دون أية مبالاة قائلة: «لدينا من يساعدنا، فأنت لست التحري الخاص الوحيد في العالم يا مايكل.»

تجاهل الاهانة التي وجهتها إليه فقد جعلته فكرة دخول الأخوة ميتشل على الخط ان يقشعر بدنه خوفاً عليها وعلى كلار بالطبع، ثم قال: «حسناً، هذا جيد. لكن دعيني اساعدكما انا ايضاً.»

ضحكت بمرارة وقالت: «أنت؟ هل نسيت بأنك الجهة المضادة لنا؟ هل نسيت بأنك اتفقت مع والدي لتقتفي آثار كلار ولتقبض عليها وتعيدها إلى المنزل؟ هذا بالاضافة، انني لا اثق بك.»

لم يبد عليه بأنه لا يعرف مثل هذا الأمر، لقد عرف ذلك منذ ستة اعوام مضت. لكنه اشتعل غضباً وذلك من

تراكم الاحداث التي حدثت هذه الليلة وشعر بأنه لم يعد يحتمل اكثر.

فقد السيطرة على اعصابه وكأنه فرس وحشي جامح يحاول التخلص من سجنه، فتمتم بكلمات غاضبة ودفع الباب بكتفه ليدخل إلى الداخل، ثم أمسك كتفيها بعنف وقوة.

«لماذا؟ لماذا؟» قال ذلك وهو في حالة غضب شديد واحس بجرح عميق كأنه طعن بخنجر في صدره.

حدقت به بلا مبالاة ولم تجب، فزادت ثورته من صمتها أكثر وقال: «لماذا؟ لقد سئمت من اهاناتك المتكررة لي يا جيني. هيا افصحي عما في قلبك، لماذا تكرهينني إلى هذا الحد؟ بماذا تعتقدين أنني اذنبت؟»

بدت في حالة ارتباك وحيرة وقالت: «أذنبت؟ آه لا اعرف، اعتقد بأنني تحيرت من أين جئت بالمال لتؤسس وكالتك. وكلار تقول لي ان لك مركزاً مهماً في ولاية سياتل، كما انها لا تعتقد ان كل الفخامة التي تحيط بها نفسك الآن عائدة فقط من المال الذي قبضته من تأمين كوين.»

اختلجت نبرة صوته وهو يقول: «افصحي عما تريدين قوله، ماذا تعرف كلار عن هذا الموضوع.»

«حسناً، بكم تدين عائلة ميتشل؟»

شعر بالنار تكاد ان تشتعل في عينيه، ايعقل انه سيدين لتلك العائلة؟ وشعر بدوران شديد في رأسه وكأنه تلقى ضربة قاضية وتساءل، ايعقل ان تكون كلار قد اعتقدت في رأسها هذه الأشياء التي لا يتصورها العقل.

www.liilas.com

تمكن ان يجيبها ببرود مصطنع بينما كانت نيران الغضب تنهش فيه: «ولا بشيء، ما هذا السؤال السخيف؟ تقولين مديون إلى هؤلاء السفلة الحقيرين؟ حتى ولا بقرش واحد.»

لم تتبدل ملامح وجهها الخائف والمتألم.

قالت جيني: «ولما كل ذلك؟» فسأل نفسه ان كان ينجح الأمر لو يصفعها على وجهها كي يعيدها إلى رشدها قبل أن تتفوه بحماقات أخرى لا يمكن أن يسامحها عليها، ثم تابعت: «هل يحصل كل ذلك لأنهم يطالبون بحق قديم؟ ويطالبون بحقهم الآن من اجل الخدمة الكبيرة التي اسدوها اليك؟»

«هل جننت يا جيني؟ هل تمكنت كلار ان تدفعك إلى هذا الجنون؟ ما الذي كانت تقوله لك؟ ولماذا تصغين إليها؟ وما الخدمة التي من الممكن ان اسديها إلى هؤلاء الرجال؟»

كان جواب جيني تحريك مستمر في رأسها وكأنها فقدت السيطرة عليه. وكانت حركاتها تلك بمثابة نفي صامت، فتدحرت دمعتان على خديها بعد سجنهما الطويل في عينيها.

وأدرك بعد ذلك بماذا كانت تفكر، فهتف لها في داخله، لا، لا تقولي شيئاً.

لكنها قالت ما لم يود سماعه منها، تكلمت بصوت تخنقه الدموع، نطقت بالكلمات التي فكرت بها منذ ستة اعوام.

«لقد وافقت ومن ثم تأكدت من وجود شقيقي بمفرده في

المستودع في تلك الليلة... بمفرده حتى لا يكون هناك سوى شاهد واحد... شاهد واحد فقط لا يمكن سماع اقواله لأنه كان الضحية القتيل.»

www.liilas.com

الفصل العاشر

تردّدت أصداء كلماتها القاسية بشدة في رأس مايكل وابتعد عنها بينما الحدة أخذت تموت في عينيه شيئاً فشيئاً، ثم نظر إليها بامعان وبملامح وجه مندهش ومصعوق وكأنها غريبة أهانته في أول تعارفهما.

ومن السخرية في هذا الأمر كله، انها وبعد أن نطقت بكلماتها تلك، شعرت بالراحة وكأنها أزالت عبئاً ثقيلاً عن صدرها، وشعرت بلهيب حار يشتعل فوق خديها، فرفعت يديها لتتحسسهما، الذي جعلها تئن بصوت مخنوق.

وشعرت بالندم في تسرعها وكيف سمحت لنفسها بالنطق بالاتهام اللاذع. إنها لم تكن راغبة قط في إعلان شكوكها أمامه، علماً منها أن الأمر قد يجرّ إلى أسوأ مما هو عليه. على أي حال، لقد قالت ما قالته الآن ولو كانت شكوكها تلك صحيحة، فإنه من المؤكد جداً، لن يقرّ ويعترف بها. لكن ماذا لو لم تكن صحيحة؟...

فإذا لم تكن هذه الشكوك صحيحة، عندها تكون قد اقترفت ذنباً. وقد بدت تلك الشكوك جديرة بالتصديق عندما تناقشتها مع كلار، فكل الوقائع كانت تثير الشك من غياب مايكل ليلة مقتل كوين، ومن سكوته عمّا حدث في تلك الليلة، ثم رحيله المفاجيء عن ولاية تكساس، وثرائه غير المتوقع بعد حادث السرقة، وأخيراً من موافقته على مساعدة والدهما في العثور على كلار.

لقد برهن الشبان الثلاث في وقت مضى، أي أليكس ومايكل وكوين عن صداقتهم الوفية بكل ما من معنى لهذه الكلمة، فإذا كان أليكس ما زال يقوم باتفاقات ملتوية مع آل ميتشل، فلماذا لا يكون مايكل أيضاً؟

لكن الأمر، كان يتبدّل ويتغيّر ويبدو حتى مختلفاً، كلما اجتمعت بمايكل. فالآن وفي حضورها امامه، ترى أن الدليل لكلار، لا شيء سوى مخاوف وأجحاف في حقه وأنها جلبت معها شكوكاً قاتلة لا أساس لها.

لكن ماذا الآن؟ فالصمت يلفهما من كل جانب، هي تقف حائرة في وسط الغرفة تتقاذفها الأفكار في شيء ممكن أن تقوله لتصلح به الأذى الذي ألحقته به، بينما هو يقف عند النافذة وأنظاره مستقرة على الشارع.

ثم قال فجأة محطماً الصمت القاتل في الغرفة: «لقد توفي والدي وأنا في سن السادسة من عمري، وعاشت والدتي بعد ذلك في حياة مليئة بالفوضى والعبث، وتزوجت وتطلقت ست مرات على الأقل قبل أن أغادر أخيراً المنزل في عمر السادسة عشرة.»

تطبت جيني حاجبيها مندهشة من كلامه المفاجيء هذا، والذي تطرق إلى حياته الشخصية. وتساءلت ما علاقة ذلك بشقيقها كوين؟ هل سيشرح ويفسر لها بأن آل ميتشل كان مغرياً لهذه الدرجة؟ هل إنه أخيراً وبعد تلك السنوات الطويلة، يريد أن يتخلى عن الصمت الذي عاش فيه؟

«كان بعض الأزواج الذين تزوجتهم والدتي، أسوأ بكثير من البعض الآخر، وأفضل ما كنت أتمناه منهم هو أن

يتجاهلوني. فعندما كنت صغير السن، كنت أدرب نفسي على أن لا أكون منظوراً، فلا أحرك ساكناً لساعات عدة، حتى انني تعلمت كتم أنفاسي وذلك كي لا يلاحظا وجودي متى عادا من سهرتهما، وكنت أحياناً أشعرء بأنني... بأنني تجمدت.»

بدا مايكل وهو يتحدث عن حياته الشخصية وكأنه يكلم نفسه، فقد بقي واقفاً أمام النافذة يحدّق بالشارع مديراً ظهره لجيني، يتكلم بنبرة تأمّل وكأنه شاعر يلقي الشعر أكثر من إنسان يتكلم بنبرة متأثرة ومدافعة عن طفولته البائسة.

«لم أجرؤ على اقتراف الأخطاء، فعلامة متوسطة في مادة الرياضيات كانت تغيّر لوني إلى الأزرق والأسود من الضرب المبرح، أو حتى لو انني قصرت في الأعمال الروتينية المترتبة علي، التي كادت أحياناً أن تخلع سنّ من أسناني الأمامية. كدي واجتهادي أثّرا كثيراً في أساتذتي، لذا عندما غادرت المنزل كان من السهل علي أن أجد عملاً، في الواقع عملين، اضطررت للقيام بعملين كي أتمكن من دفع إيجار الشقة التي سكنت فيها لأكمل علومي العالية، ومن بعد ذلك التحقت بالجيش.»

لم تنطق بكلمة واحدة، علماً منها بأنها لو قامت بأية حركة، سوف تقطع عليه تسلسل قصته المتتابعة. وهي تريد أن تسمع منه كل شيء وكل كلمة يريد أن يكلمها بها. إنها لم تعرف، بل لم يكن يهمها من اين جاء مايكل قبل ان تتعرف إليه عائلتها من قبل، ويبدو أن ذلك لم يكن مهماً عندها في ذلك الوقت، لكنها أدركت الآن كم

كانت مخطئة وكم كان من الضروري أن تعرف كل شيء عنه.

لازم مايكل الصمت للحظات كادت جيني أن تجن من شدة وطأتها، وتمالكت على نفسها في حثّه على المتابعة، مدركة بأنه سيستمر طالما بدأ من تلقائه في الحديث عن نفسه.

ثم تكلم بعد صمته المميت ذلك قائلاً: «لقد التقيت بكوين في الجيش، وكان بإمكاني أن أفهم على الفور بأنه لا ينتمي إلى هذا المكان. حتى انني فهمت بأنه وُجد في الجيش نكاية بوالده. إن الشبان الأثرياء يرغبون بفعل مثل هذه الأمور، أليس كذلك؟»

تابع مايكل يتكلم وهو يحرك رأسه بغموض كأنه يعجز عن وصف كوين كما يجب: «كان كوين غارقاً دائماً بالمشاكل، يقوم بأعمال مثيرة لا يتصورها العقل، فتغرقه وأحياناً تغرقنا نحن في بئر عميق يصعب الخروج منه. لكنه كان شاباً وسيماً خفيف الظل لذا لم يكن أحد ينتقد أو ينزعج من تصرفاته، فالجميع كان يحب كوين.»

تنهّد بعمق ومرّر بأصابع يده على الستارة المعدنية فأحدثت قرقعة خفيفة، ثم قال: «لا أدري لماذا أصبحنا صديقين وفيّن، أعتقد بسبب تجاذبنا إلى النقيض في بعضنا البعض. فقد كان مندهشاً من قدرتي على أن أبقى بعيداً عن المشاكل... كما انني...» وعاد يتنهد من جديد وكأن رئتيه تحتاجان إلى الأوكسجين بسرعة أكثر مما هي العادة. وتابع يقول: «إنه لم يسبق لي والتقيت بشاب مغامر ومتهوّر مثله، فقد جعل من الحياة لعبة يلهو بها، ولم أحظ بمثل هذا الهو من قبل قط

liilas.com

خاصة بمثل هذا النوع. وأعتقد بأنني أيضاً انجرفت معه بذلك الجنون.»

تقدمت جيني خطوتين منه، لكنه وبسبب غرقه في ذكرياته، لم يلاحظ تقدمها.

«وبعد ذلك دعاني لأن أذهب معه إلى منزله لأجل مناسبة معينة، لقد كان يعلم بأنه لم يكن لدي مكان آخر كي أذهب إليه في مثل هذه المناسبة. وكنت أعلم أنني لو ذهبت إلى منزل والدتي، إنني قد أقتل الرجل الذي تزوجها حالياً، لذا تريننني أدين لكوين الكثير. وبعد ذلك تعرّفت إلى عائلتك، فوالدك آرثر رحّب بي وكأنني ابنه، وتعرّفت إلى كلار التي كانت تشبه كوين في تصرفاتها إلى حدّ كبير... وانتِ...»

أمسكت جيني أنفاسها، فقد أدار مايكل رأسه لينظر إليها ولم تكن ملامح وجهه الجانبية واضحة وهو يقول: «كنت تعتقدين بأنني مميز، ولا ألومك على ذلك فقد كنت ما زلت صغيرة السن، ومن المؤكد أنك كنت ستميلين إلى أي شاب أكبر سناً منك عندما يدخل عالمك، وأحببت ذلك منك ولم أسأم.»

حاولت أن تفتح فمها لتقول له انها هي أيضاً كانت كذلك، لكنها ولخيبة أملها وجدته يعود إلى النظر إلى الشارع.

ثم تابع: «لكنني كنت منجذباً لأمور أخرى لسوء الحظ، لقد استهوتني حياة كوين العابثة واللاهية وغير المسؤولة، وكنت أنا في أمسّ الحاجة لكل هذه الأمور بعد الحرمان والعذاب الطويل قبل مغادرتي منزل والدتي وبعده، لذا

لحقت به من مكان إلى آخر لأعوّض على نفسي كل ما فاتني.»

جيني التي كانت تتابع كل تبدّل أو انفعال في نبرة صوت مايكل، سمعت منه اشمئزازاً حاداً وجهه إلى نفسه ممزوجاً بالشعور بالدهشة. فتساءلت هل يعتقد نفسه شريراً لهذه الدرجة؟

فجأة، وكالإنذار، تعالى رنين مزعج، مما أخاف جيمي وأرعش قلبها لحدوثه بهذا الشكل المفاجيء ثم أدركت أن الحارس الأمني هو الذي أصدره، فتمتمت في سرها من تلقيته لذاك الرنين، فالآن وبعد أن قاطعهما ذلك الحارس، هل يتابع مايكل سرد قصته؟

أسرعت إلى طاولة المكتب وضغطت على أحد الأزرار قائلة: «نعم؟»

فتعالى صوت من الجهاز يقول: «آنسة كيرني، هل كل شيء على ما يرام عندك؟»

أجبرت نفسها على أن تكون مهذبة معه وهي تقول: «نعم يا جورج، شكراً لك. سأكون منهمكة ببعض الأعمال لفترة من الوقت، فلا داعي للاتصال مرة أخرى.»

ثم وبحركة سريعة أقفلت الجهاز، واتجهت إلى باب الغرفة لتغلقه دون أن تعطي أي تفسير لذلك. كان مايكل خلال ذلك يراقبها بصمت، وعند عودتها، التقت نظراتهما، فأدرك أنها الآن على الأقل تثق به.

لكن هذا الأمر لم يجعله سعيداً ولو قليلاً، والواقع، أنه بدا وكأنه سيغشى عليه، أو كأنه مسجون في قفص حديدي، يحاول بشتى الطرق أن يخرج منه لكن دون جدوى...

www.liilas.com

غاضب وثائر لا يعرف طعماً للراحة. ابتعد بعد ذلك عن النافذة يمشي ببطء شديد ويلمس كل ما يمر بجانبه من المقعد وإلى طاولة المكتب حتى كل ما وُجد على الطاولة من أقلام وأوراق، فوقفت جيني بهدوء تراقب حركاته حركة بعد حركة.

ثم توقف أمام صورة كوين الموضوعة على رفّ للكتب قائلاً: «لقد عرفت منذ أن كنت في السادسة من عمري بأن الأشخاص لا يمكنهم الافلات أو الهرب من أي شيء، وكان عليّ أن أدرك بأن الطريق التي اخترتها لن تؤدي إلا إلى نهاية مميتة أخرى.»

قطّب حاجبيه وهو ينظر إلى وجه شقيقها المبتسم دائماً وتابع: «كان يجب أن أعرف بأن آل ميتشل يدفعون الكثير من أجل حماية المستودع، وما السبب الذي دعاهم ليطلبوا من ثلاثة أشخاص مؤهلين مثلنا للحراسة الليلية. لكن كان من المغري جداً كي أتوقف عن تساؤلاتي هذه، لأنهم كانوا يدفعون الكثير، وإلى جانب ذلك، كان هناك أمور أخرى تشغل رأسي.»

ابعد نظره عن صورة كوين وتابع: «كان أليكس في تلك الأثناء معجباً بكلار، وكنت وكوين قد التقينا ببروك وصديقتها اللتين كانتا تمتلآن حيوية ونشاطاً، فسعدنا بمعرفتهما خاصة عندما عرفنا بأنهما معجبتان بمهنة التحري الخاص.»

أمسك إحدى المجلات وعاد يمشي في الغرفة إلى أن وصل إلى طاولة صغيرة للقهوة، فرمى المجلة فوقها بعصبية وقوة فانزلقت على الأرض، وقال بنبرة قاسية:

كنت وقتها في الثالثة والعشرين، لكنني شعرت فجأة بالاتزان في نفسي وكأنني في الستين من عمري. وكانت بروك وصديقتها تعيشان في الطابق الثالث من مبنى يبعد خطوات قليلة عن المستودع.»

صدر من جيني صوتاً خافتاً متألماً، لكن لو أن مايكل سمعه لكان من المؤكد تجاهله، لأنه كان عازماً على أن ينهي قصته. فتمسكت بقوة بحافة طاولة المكتب وكأنها خائفة من عاصفة قد تهب بين لحظة وأخرى وتطير بها عالياً عن الأرض، لكنها كانت تريد أن تسمع قصته كاملة مهما كانت نتائجها مؤلمة.

قست نبرة صوته وهو يتابع: «كنّا نتبادل الحراسة أحياناً تصادف فترة حراسة أليكس في النهار، وكوين وأنا في الليل والعكس بالعكس، وقد استمر بنا الأمر كذلك لمدة أسبوع. وبعد ذلك في إحدى الليالي وكنت فيها غائباً عن المستودع، اقتحمه بعض الأشخاص ووجدوا كوين بمفرده هناك فقتلوه.»

تكلمت جيني أخيراً بصوت خنقته الدموع وبدا وكأنه ليس صوتها: «مايكل، كان من الممكن أن تكون مكانه في تلك الليلة.» إنها لم تعرف بهذا الشيء من قبل، كما أن مايكل لم يخبر أحداً بذلك ولا حتى الشرطة، ولا التحقيق أيضاً أظهر شيئاً من ذلك، وجاء سكوت مايكل كاملاً لا ريب فيه وسمح بذلك لعائلة كيرني أن تؤكد روايتها حول مقتل كوين.

«كان من الممكن أن تحدث هذه الجريمة في ليلة يكون فيها كوين بعيداً عن حراسة المستودع، وتكون أنت

www.liilas.com

الضحية.» توقفت عن الكلام وهي في حالة اضطراب شديد، تتخايل مايكل ملطخاً بالدماء وشقيقها كوين ملطخ اليدين بدمه.

قطع مايكل أرض الغرفة بثلاث خطوات سريعة إلى أن أصبح أمامها وقال: «هل تعتقدين بأنني لم أتمنى ولمئات من المرات لو أنني كنت مكانه؟ هل تعتقدين بأنني لم أجنّ وأنا أحاسب نفسي لتغيبي عن المستودع ولو أن الزمان يعود إلى الوراء لمنعت حدوث ذلك؟ أو لو انني في تلك الليلة تركت مرافقة بروك باكراً وعدت إليه؟ أو أن أعود إلى المستودع في الوقت المناسب؟»

ولشدة لوعته وحرقته تابع بصوت قاس: «لا أعرف ما الذي حصل بالضبط في تلك الليلة يا جيني، لا أعرف فيما لو آل ميتشل هم الذين قاموا بذلك العمل المشين، أو أشخاص آخرون من قطاع الطرق. لكن الذي أعرفه تماماً بأنه كان بإمكاني مساعدة كوين لو انني كنت هناك لأحمي ظهره. آه، لو انني فقط لم أكن لاهياً.»

قاطعته جيني بلطف قائلة: «توقف يا مايكل! أرجوك! لا أريد أن أسمع المزيد من ذلك.» وتخايلت صور تلك الليلة المشؤومة حيّة من جديد في رأسها، شاعرة بالألم في نفس الوقت من التفكير في حب مايكل لامرأة أخرى.

«لكنها الحقيقة يا جيني، لقد كنت سافلاً وحقيراً، ونال كوين العقاب بدلاً مني. لكنني عاقبت نفسي أنا أيضاً، فتزوجت من بروك التي لم أحبها قط وجعلتها تحمل طفلي، وأخذت أنتظر ولادته التي قد تعطي معنى لاستمرار حياتي المقبلة. وبعد أن أصبحت بروك في الشهر السادس من

حملها، صدمتها شاحنة بينما كانت تقود سيارتها، فقتل الجميع، سائق الشاحنة وبروك وابني.»

نفرت دمعة من عينيها وتدحرجت على خدها، فتحسستها بأصبع يدها قائلة: «آه، آه يا مايكل كم هذا مؤلم.»

نظر إليها بألم وقال: «لذا ترين أنني دفعت الثمن يا جيني. أعرف بأنني دفعت أكثر مما أستحق، لكنني رويت لك كل ذلك لتعرفي بأنني دفعت الثمن أنا أيضاً، وسأستمر بذلك مثلك ومثل والدك ومثل كلار، وهذا كله لن يكفي.»

قاطعته متوسلة: «صه، لا بل يكفي ويكفي...»

«لا.» بدأ يقول لكنها قاطعته هذه المرة.

ثم قالت بلطف متابعة تهدئة ما يعاني منه: «لقد انتهى الأمر يا مايكل، وانتهت آلامنا كذلك.»

هزّ برأسه صامتاً، وبدت نظراته جافة غير مصدقة من أن جيني سامحته وبدّلت نظرتها فيه. وأخذ يبحث في وجهها وكأنه يريد أن يقرأ التأكيد على صحة ظنونه.

فتابعت تقول وكأنها قرأت ما يجول في رأسه: «لقد حان الوقت الآن لنلئم جراحنا يا مايكل.»

«لا أعتقد بأن ذلك ممكناً.»

«لا بل ذلك ممكن يا مايكل وما عليك سوى المحاولة.»

كلامها المطمئن والمشجّع، قلب مشاعره وكيانه وأمل منه خيراً لمعاناته الطويلة من السنوات الست التي مضت عليه بألم وعذاب الضمير.

«جيني.»

www.liilas.com

قاطعته قائلة: «أرجوك، لطالما كان شيء في داخلي يهتف بأنك بريء وكنت أدعو وأطلب دائماً بأن تظهر الحقيقة جلية أمامي. آه يا مايكل، كان بإمكانك أن تخبرني بذلك منذ وقت طويل ولما كنت لحقت ببروك، بل بقيت إلى جانبي.»

تأوّه قائلاً وهو لا يصدق أن جيني بدأت تثق به: «أعرف لكنك كنت في ذلك الوقت صغيرة السن في السابعة عشرة من عمرك فقط يا جيني.»

فهمست: «لكنني لم أعد طفلة الآن.»

ابتسم لها ابتسامة واسعة وقال: «نعم، أعرف ذلك، لكنني لا أعرف... لا أعرف إذا كان بإمكاني أن أكون ما تريدينني حقاً أن أكون يا جيني. لقد كان الأمر صعباً عليّ منذ بروك... منذ كوين.»

ما الذي كان يحاول أن يقوله لها يا ترى؟ من المؤكد أنه لا يريد أن ينكرها أو أن ينكر ما تشعر به تجاهه، لا بدّ وأن هناك شيء آخر، لكن ما قد يكون ذلك؟ فاحنت رأسها وقد بدأت تشعر تجاهه بمشاعر جديدة مختلفة وكأنها تركت عالمها لتدخل عالم جديد كله بهجة وفرح.

ثم قال ببطء: «قد أخيب أملك، فأنا لست قادراً بعد عن تبديل ما في نفسي، هل تفهمين؟ إنني عاجز عن الشعور بالسعادة بعد الآن.» ثم حوّل نظره إلى يده وتابع: «الشعور بالذنب لأمر غريب يا جيني، ويقف حاجزاً بيني وبين سعادتي.»

فأجابته بلطف ورقة: «ليس من بعد هذه الليلة، فمن بعد هذه الليلة، ما من حاجز قد يقف بيننا.»

أراد أن يصدق كلامها، لكن مخيلته عادت إلى تلك الليلة المشؤومة والتي كان يتناول العشاء فيها مع بروك بينما سقط كوين قتيلاً على يد بعض الغادرين.

ولما لازم مايكل الصمت ولم يعلّق بكلمة تبرّد قلبها الطيب بحبه، همست باسمه بلطف وقد توردّت وجنتاها خجلاً: «مايكل...» وعجز لسانها عن متابعة الكلام الذي يتردّد في قلبها ومع كل نبضة من نبضاته.

وخلال كل ذلك، لم تبارح عيناها عينيه، فترقرقت الدموع فجأة في أعماق زرقتهما، لأنها عجزت عن النطق بتلك الكلمة التي يقولها كل حبيب لحبيبه، وعادت تهمس باسمه: «مايكل...»

فارتعش صوتها عندما همست باسمه للمرة الثانية وتغلغل همس صوتها في أعماق روحه ونظر إليها للحظات طوال.

«آه يا جيني أنا...» بدأ مايكل وعجز عن متابعة ما أراد قوله لها وهو الاعلان عن حبه.

ابتسمت جيني وكأنها أدركت ما أراد قوله، فأدرك هو الآخر معنى ابتسامتها تلك وعجز عن تصديق ذلك، أحقاً هذه جيني التي أمامه تبتسم له وتثق به وهو الذي اعتقد طوال الستة أعوام التي مضت بأنه خسرها؟

إن ما يحصل له في هذه اللحظات لهي أعجوبة ما، وأن جيني الجميلة هي الاعجوبة. لقد سامحته وقدّرت صمته الطويل، الصمت الذي أجبره منذ تلك الليلة المشؤومة، أن يختفي ويسافر إلى ولاية أخرى هرباً من عينيها المتسائلتين والحاقدتين عليه.

www.liilas.com

ثم قال وكأنه انتبه إلى شيء ما: «هيا الآن يا جيني، لقد تأخر الوقت ويجب أن تعودي إلى المنزل.»

أجابته جيني والابتسامة لا تفارق شفتيها: «عد انت يا مايكل، اريد ان اراجع بعد الاوراق الخاصة بالشركة وأوقّع عليها بعد ذلك لأجل الغد.»

فخرج مايكل من الغرفة بهدوء وهو لا يصدّق السعادة التي ظفر بها أخيراً.

الفصل الحادي عشر

استيقظت جيني في صباح اليوم التالي وهي تشعر بالارهاق الشديد، وللوهلة الأولى لم تدرك أين هي، ونظرت حولها ودهشت لوجودها في غرفة مكتبها في الشركة، فتذكرت انها وبعد ان اتمت مراجعة الأوراق الملقاة على عاتقها في ليلة البارحة، انها شعرت بالدوران فاستلقت على الكنبة الموجودة في المكتب وغابت في نوم عميق.

وتناهى إلى سمعها من الغرفة التابعة لغرفة مكتبها حركة خفيفة، فقامت من على الكنبة وتوجهت تسير على اطراف اصابعها لتعرف من قد يكون هناك في هذا الوقت من الصباح، فوجدت رجلا يقف مديراً ظهره يبسط خريطة كبيرة على الطاولة.

احست من النظرة الأولى بأنه لا بدّ وان يكون مايكل، فلا أحد من موظفيها بهذه القامة الطويلة لكنها قطبت حاجبيها وقد لاحظت بأن هذا الرجل يرتدي قميصاً قطنياً وسروالاً من الجينز، فليس من عادة مايكل ان يكون غير متأنق.

لكن ما الذي يدعو مايكل في ان يكون في تلك الغرفة على أي حال، يدقق في تلك الخريطة؟ فهل يكون هذا الرجل احد الزبائن، ام صديق لأحد الموظفين يا ترى؟ أو شقيق أو زوج احدى الموظفات؟

ظلت واقفة مكانها تنظر إليه نظرات مدققة وكأنها تلح عليه بأن يستدير لكي تتعرف عليه أكثر.

www.liilas.com

ولكنه لم يأت بأية حركة، بل بالمقابل بسط الخريطة أكثر على الطاولة وانحنى فوقها يدقق بمعالمها.

اتسعت عيناها أكثر، وضغطت على اصابع يدها بشدة، فظهر هذا الرجل تعرفه جيداً ولا يمكن ان تخطىء من هو.

لقد كان هذا الرجل بالفعل مايكل، وقد استيقظ باكراً بحماس شديد للعمل. كم انه حقاً رجل عملي، يفكر بكل شيء دون ان يغيب عنه أي أمر، وشعرت برغبة ملحة للبكاء أو للضحك لا فرق، المهم ان تطلق ذلك الصوت المكبوت في داخلها، مفكرة بثقته الكبيرة بنفسه وباهتمامه وانكبابه على عمله بهذه الهمة والنشاط.

سمعت بعد ذلك نقراً خفيفاً على الباب الآخر لهذه الغرفة، قامت به سكرتيرتها ستيفاني، فالتفت مايكل مبتسماً بتساؤل، مما جعل قلب جيني يخفق بشدة.

وقالت له شيئاً لم تستطع اذنا جيني التقاطهما، ثم ناولت مايكل مجموعة صغيرة من الأوراق، فابتسم لها ابتسامة مشرقة اخرى وكأنه يشكرها على ذلك وضحكت ستيفاني ضحكة سمعتها جيني بوضوح.

تقاذفت جيني الأفكار محاولة ان تعرف ما الذي يجري في الغرفة التابعة لغرفة مكتبها، لكنها لم تستطع الاهتداء إلى فكرة منطقية واحدة. وكلما حاولت التفكير بطريقة ايجابية، تهب عاصفة من الشكوك لتمحي كل تلك الايجابيات، ثم ومن ناحية اخرى انه مهما يكن، فحبها له سوف يمزق غضبها عليه شر تمزيق، وخوفها منه وشكها سيجلبان الأمل والسعادة. وبخطى ثقيلة، عادت لتجلس على الكنبة وافكارها تتضارب في رأسها متلاحقة مضنية،

وتمنت لو بامكانها ان تهرب من هذا المكان وقد تذكرت كلام كلار لها بشأنه.

ان غرفة مكتب جيني متصلة اتصالاً مباشراً بغرفة سكرتيرتها، وكان بامكانها ان تسمع ضربات ستيفاني على مفاتيح الكومبيوتر، فوقفت جيني وقد اقرت قراراً مفاجئاً، ومشت لتسترق النظر على مايكل مرة اخرى لتجده ما زال منحنياً يدرس معالم الخريطة امامه، عندها مشت على اطراف اصابعها الى الباب الذي يؤدي إلى غرفة ستيفاني.

وعندما فتحت جيني الباب واطلت منه، نظرت ستيفاني اليها بدهشة شديدة.

«آنسة كيرني! من أين جئت؟ لم أكن أعلم بأنك موجودة.»

لم تكلف جيني نفسها لتشرح لستيفاني سبب وجودها المبكر، وتقدمت منها اكثر لتكلمها بصوت منخفض أشبه بالهمس.

«ما الذي يفعله مايكل وينترز في تلك الغرفة؟» سألت جيني ذلك محاولة جهدها في ان لا تبدو نبرة صوتها انها تتهمها. وكان من عادة ستيفاني ان تدافع بحماس كلما لاحظت في نبرة جيني توبيخاً أو اتهاماً ما.

لكن هذه المرة قلقت ستيفاني من كلام جيني الموجه باتهامها، فقطبت حاجبيها بتساؤل واخفضت صوتها عندما اجابتها.

«لا اعرف في الحقيقة، لقد قال لنا السيد كيرني بأن السيد وينترز سيدير شؤون المكتب هذا، لذا لم اعتقد بأنه يمكنني طرح أي سؤال بخصوص ذلك. لكن لماذا تسألين؟ هل باعتقادك انه يقوم بأشياء لا يجدر به القيام بها؟»

www.liias.com

ابدت جيني عدم المبالاة بينما هي في الحقيقة مبالية وأكثر، ولم تعطي ستيفاني توضيحات أخرى بل تابعت تسألها: «لقد سلمته بعض الأوراق قبل قليل، فهل تعرفين ما تحوي هذه الأوراق؟»

نفت ستيفاني بحركة من رأسها وكأنها خيبت آمال جيني فيها ولم تعرف كيف تدرك الأمور التي قد تفيدها، ثم أجابت: «إنها أوراق من مكتبه في سياتل هذا كل ما اعرفه، ولكنها تبدو وكأنها لائحة من العناوين. ولقد ارسلت بواسطة الفاكس، لذا لا بد وانها مهمة. آه، لقد وضع هذه الأوراق فوق الطاولة الى جانب تلك الخريطة التي تظهر معالم شوارع هيوستن، هل تريدين مني ان اعود الى هناك واحاول ان امعن النظر فيها؟»

أجابت جيني وقد شعرت بأمانيها وآمالها تسقط منها وتتحطم: «لا، لا، هذا في الحقيقة لا يهم.»

اغمضت عينيها بألم، واسندت بنفسها إلى البَاب مرهقة، انها ليست بحاجة الى تفاصيل اوسع بعدما وجدته لا يزال يحاول العثور على مكان كلار، ولا شيء مما حدث ليلة البارحة قد يثنيه عن عزمه وارادته.

وأخذت جيني تراجع في مخيلتها احداث ليلة البارحة، انه لم يعدها او حتى يضمن لها بأنه سيوقف بحثه عن كلار التي لم يأتيا على ذكرها ولو مرور الكرام في حديثهما.

اليست هي وحدها الملامة الوحيدة في ذلك؟ لقد سمحت لعواطفها بالاستماع إلى قصته وعطفت عليه لدرجة انها نسيت شقيقتها والمشكلة التي تتخبط بها.

انه وخلال كل ذلك لم يبح بحبه لها، ولا مرة واحدة، ولا

حتى عندما كادت ان تنطق هي بذلك مؤكدة في نفسها بأن عليه ان يكون هو البادىء باعلان هذا الحب وليست هي.

لكنه ومع انه ادرك ما كادت تبوح به، قاطعها مغيراً دفة الحديث.

فتحت جيني عينيها بعد تأملاتها تلك وقالت: «ستيفاني، يجب ان اخرج من هنا دون ان يعلم مايكل.»

نظرت ستيفاني اليها وظهر القلق جلياً في عينيها وسألتها بشك: «هل أنت بخير؟»

اومأت جيني برأسها بالايجاب وقالت: «انني بخير، ولكنني اريد خدمة منك، هل بامكانك ان تبقيه مشغولاً لأطول وقت ممكن لاتمكن فيه من الخروج من هنا بأمان؟»

ابتسمت ستيفاني بثقة واعتداد بنفسها قائلة: «سيكون ذلك من دواعي سروري.»

ثم نهضت ستيفاني من مكانها وتناولت فنجان قهوة من الخزانة وملأته بالقهوة، واسرعت إلى الغرفة التي ينكب مايكل فيها على اوراقه.

عادت جيني إلى غرفة مكتبها والقت نظرة اخيرة لتطمئن وتتأكد من ان مايكل ما زال منكباً على اوراقه، ثم تناولت ورقة من على الطاولة وكتبت عليها بسرعة: يجب أن أرى كلار، ربما نتمكن من التحدث في وقت لاحق. وتركت الورقة في مكان لا يمكن إلا وأن يراها مايكل.

هتف صوت ساخر في داخلها من الكلام الذي كتبته في الورقة خاصة من كلمة التحدث، التحدث بماذا؟ انه وعندما يكتشف بأنها تسللت وخرجت دون علمه، سوف تثور ثائرته، تماماً كما ثارت ثائرتها عندما وجدته يدرس تلك الخريطة.

www.liilas.com

وادركت الآن انهما عادا الى ما كانا عليه في البداية من الحقد والنقمة، كم كانت غبية عندما صدقته وصدقت كلامه المعسول، ألن تتعظ ابداً؟

حملت حقيبة يدها واسرعت بالخروج من غرفتها إلى غرفة ستيفاني ومنها الى غرفة المؤن والعدة التي لها باب يؤدي الى سلم فرعي للطوارىء، وكانت من وقت لآخر تنظر الى الوراء خوفاً من ان يكون مايكل يتتبع خطواتها، إلى أن وصلت إلى سيارتها بأمان، وحاولت أن تسكت ذلك الصوت في داخلها أو لنقل أن تؤجله إلى وقت آخر، لأنها في هذه اللحظات تحتاج إلى كل الهدوء والسكينة.

رشف مايكل قليلاً من القهوة التي احضرتها ستيفاني له، ونظر نظرة سريعة الى ناحية مكتب جيني، ثم عاد ليركز اهتمامه على الخريطة وقد طمأن نفسه بأنها تعطي نفسها قسطاً من الراحة بواسطة النوم. وقد كانت به رغبة شديدة بأن يدخل إلى الغرفة ليوقظها ويرشف معها قهوة الصباح لشعوره بالسعادة من الثقة التي منحته اياها الليلة الماضية.

لكن رغبته تلك سرعان ما اختفت فجأة ليغرق في خطوط الخريطة امامه وليركز كل اهتمامه بها. وتركها تنعم في نومها ولتستيقظ متى شاءت، فهو لن يسمح لنفسه بالدخول قبل ان تقوم هي بأية مبادرة.

ابتسم بغباء وهو ينظر إلى الخريطة والجزر الموجودة عليها، وكانت صورة وجه جيني ماثلة امامه بدلاً من الخطوط والأسماء، مفكراً أنه من المؤكد لن تمانع في أن يدخل إلى مكتبها، ولا من شك في ذلك على الاطلاق، وهذا

التأكيد لم يكن ناجماً عن كبريائه وثقته الشديدة بنفسه، انما من احساسه المرهف تجاهها. كان مع ذلك يدرك بأنه لا يستحقها، ولكنه كان يؤكد بأنه ظفر بها وهي له دون غيره.

ومرة ثانية عاد الشعور بالرغبة في الدخول إلى غرفتها يشجعه لينعم بوجهها المشرق بالرغم من معرفته أنها نائمة، ثم أخذ يفرك رأسه بأصابعه وكأنه يريد ان ينزع افكاره تلك ويعيش في الواقع وفي العمل الذي ينكب عليه الآن.

حول نظره إلى ساعة يده ووجد انها ما زالت الثامنة، وكان قد قرر قبل الآن ان يدعها نائمة لغاية الساعة العاشرة وهذا وقت كافٍ لتنعم فيه، ببعض الراحة.

تنفس بعمق مفكراً بالساعتين الطوال قبل ان يوقظها من نومها، وقرر انه ربما من الأفضل ان يتركها لساعة فقط.

لكن حتى ساعة واحدة فقط بدت له وكأنها دهر كامل، وحدق بالأوراق التي ارسلتها له ليزا بواسطة الفاكس وفيها بيانات بالايجارات الأخيرة، وتمنى كما تمنى منذ ساعة من الآن لو انه يتبين له دليل واحد لكي يجنّب جيني الحزن من البوح بنفسها بمكان كلار. مع انه يعلم وفي صميم قلبه، بأنه وبعد الليلة الماضية، بأن جيني ستبوح له بكل ما يريد معرفته. لكنه لا يريد أن يوقع بين الشقيقتين ايضاً، علماً منه عن طبيعة جيني التي لن تغفر لنفسها لو خانت كلار وطعنتها بظهرها بافشاء اسرارها له، كما انه يعرف كلار حق المعرفة والتي لن تحيا الا وتتنكر وتنكر جيني بخداعها ذاك.

www.liilas.com

لكن لو بامكانه ان يكتشف عنوانها بنفسه، لهانت المسألة ولن يجعل جيني تعيش لتتذكر بأنها قامت بشيء يؤذي شقيقتها. واخذ يدعو من صميم قلبه لو انه يعرف مكانها كي لا يجبر كلار على شيء.

لقد وصل الآن إلى الصفحة الخامسة من اللائحة، دون أن يصل إلى نتيجة تذكر. وتابع دراسته لهذه الأوراق وهو يمر على اسماء المستأجرين الجدد في الآونة الأخيرة، وادرك بالرغم من عدم توصله إلى أمل يرجى منه، بجدارة ودقة عمل سكرتيرته ليزا التي ومن المؤكد قد استخدمت عشرة مخبرين ليأتوها بهذه اللائحة الدقيقة.

ومن الأسماء التي قرأها، موزس ولاتيريكا واشنطن، احمد بهجت وابنه، كاتي كيلدر، اميلي رولنز، ماري سيويني.

توقف فجأة كأن الدم تجمد في عروقه، وهتف هاتف في داخله يلفت نظره إلى اسم كاتي كيلدر، ك.ك. انه قول قديم ومأثور، لكنه حقيقي، فعندما يتبنى المرء اسماً جديداً، يستعمل احياناً الحرفين الأولين لاسمه ولاسم عائلته ويكون منهما اسماً آخر.

ثم تذكر امراً آخر طرأ على رأسه ايضاً، اسم عائلة كيلدر ليس بغريب عنه، فحصر تفكيره بهذا الاسم إلى أن تذكر اخيراً ان زوجة آرثر كيرني كانت من عائلة كيلدر من ولاية جورجيا والتي توفيت يوم ولادة جيني. كما انه تذكر كم اصبح حنين هذه الزوجة لوطنها اسطورة في ذلك البيت حتى انها حاولت مرة زرع اشجار المغنولية في الحديقة والتي جاءت بها من جورجيا.

كاتي كيلدر؟ واخذ ينقر بأصابع يده فوق الطاولة باهتمام متسائلاً هل هذا من الممكن؟ وعنوان هذه السيدة في جزيرة ستيوارت روست والتي مايكل لا يذكرها جيداً ولقد قرأ اسمها على الخريطة مقابل الشاطىء مباشرة، وهي جزيرة غريبة الشكل يخالها المرء على الخريطة وكأنها نقطة ماء سقطت من كوب لتوها. وعاد بذاكرته إلى الوراء بحثاً عن تفاصيل اخرى، وتذكر اكواخها الحقيرة والتي لم يكن يؤمها الكثير من السياح.

حاول ان يتصور امرأة بكبرياء وغرور كلار، تعيش في إحدى هذه الأكواخ الحقيرة لكنه لم يستطع. تنهد وتابع قراءة الأسماء، ماريا وتيد غونزالز، جون وجين سباركينغز، ليز و... لكنه كان كلما قرأ مزيداً من الاسماء، يعود إلى اسم كاتي كيلدر، وأخذ الهاتف في داخله يعلو أكثر فأكثر. لكن قد يكون ذلك لا يعني شيئاً، انما احساسه كان قوياً وعنيفاً ولا يمكن تجاهله.

«طق، طق.»

جاء صوت ستيفاني الخجول وكأنها تستأذن بالدخول، فالتفت مايكل بسرعة ليجدها امامه تلوح له بفاكس جديد ارسل له.

ثم قالت مداعبة وهي تناوله ورقة واحدة: «آه، انك شخص شعبي هنا سيد وينترز.»

«شكراً لك.» مال مايكل وأخذ الفاكس منها مبتسماً بينما شعر بخفقان شديد في قلبه. لا بد ان الأمر مهم، لأنه يعلم بأن ليزا لا تزعجه مطلقاً بأمور عادية أو تافهة.

كان الفاكس مكوّناً من اربعة اسطر، ولم يخب ظنه من ان

www.liilas.com

ليزا لا ترسل له عادة اشياء غير مهمة، وجاءت الكلمات مقتضبة لكنها واضحة المعنى والمضمون.

وهذا ما ارسلته ليزا في الفاكس: «افتتحت المطاعم بنقود آل ميتشل الذين فات موعد استحقاقهم بهذه النقود. الامانة مستهدفة. الميراث مهدد عما قريب.» ثم انتهى الفاكس بشيفرة معتمدة بينهما تنبيها لخطر ما: «الوضع غير مسرّ.»

الفصل الثاني عشر

طوى مايكل الفاكس بعناية وأدخله بجيب سرواله الجينز، ثم تقدّم نحو غرفة مكتب جيني يلوم نفسه لأنه سيفسد عليها وقت الراحة الذي كان قرّر أن يمنحه لها.

لقد كان ولغاية هذه اللحظة بغاية الشك فيما يتعلّق بخلاف كلار مع أليكس بخوص استدانته مالاً من آل ميتشل. لطالما كانت كلار من النوع العاطفي، وقد اكتسب مايكل من ناحيته خبرة عن الزوجات اللواتي يلفّقن قصصاً مثيرة وحقيرة حول أزواجهن.

وعملت ليزا سكرتيرته النشيطة على الوقائع الممكن إثباتها بالدليل والبرهان، لذا أدرك مايكل بأن الذي قدمته له كان صحيحاً لا شائبة تشوبه. وأليكس تود كان مقيداً تقييداً تاماً بآل ميتشل، والظاهر أنه وعدهم بحسم ديونه لهم من الميراث الذي ستحصل عليه كلار.

ثم توقف مايكل فجأة ليعود ويتأمل مفكراً بالفاكس الذي ارسلته ليزا وخاصة في الجملة التي تقول: «الميراث مهدّد عمّا قريب.» ميراث من تقصد بذلك؟ لقد سبق لكلار أنها احكمت السيطرة على ميراث والدتها والذي لا يحق لها استلامه قبل بلوغها سن الثلاثين ولقد اتمّت هذا السن منذ فترة ويذكر مايكل ذلك جيداً منذ بداية تحقيقاته بهذه المهمة ـ لذا ومن المؤكد، فالوقت مبكر لكي يؤثر مولودها على الميراث.

hamasaaat

يبقى الحديث هنا عن أليكس الذي هو من الواضح المستفيد الأول من الميراث، ومايكل لم يظهر أية أهمية في البحث في وصية كلار واثقاً في نفسه أنه ما من حاجة تدعوه لذلك ـ لكنه توصل بعد تفكير عميق إلى نقطة مخيفة. وهي أن أليكس لن يعود مستفيداً لو كانت كلار قد تنجب طفلاً قبل أن يقضي عليها. وقصة حملها هذا أزعجت أشخاصاً آخرين، فتنبّهت ليزا لذلك وأضافت تلك الكلمات في آخر الفاكس: «الوضع غير مسرّ.»

شعر مايكل عندما وصل بتفكيره إلى هذا الحدّ، بمرارة شديدة في حلقه وتابع خطواته باتجاه باب غرفة مكتب جيني، فتوقفت ستيفاني عن الطباعة فجأة ووقفت لتقول شيئاً لكنها عجزت، فأدرك من تردّدها أن هناك شيء ما يجري ويدور.

«جيني؟» نادى مايكل بصوت عالٍ، لكنه لم يحصل على أي جواب من الغرفة، فمدّ يده يريد الطرق على الباب، لكنه ما إن لمست أصابعه الباب حتى فُتح دون أي مجهود ليكشف أن غرفة جيني خالية وغارقة بالظلام والصمت البارد يلف جوانبها.

فقالت ستيفاني بنبرة لا تخلو من الذنب حتى أنه لم يكن هناك من داعٍ لها لأن تتفوّه بشيء: «لقد ذهبت، لقد خرجت من الشركة.»

لكن مايكل لم يردّ عليها بكلمة واحدة، بل دفع الباب أكثر ودخل إلى الغرفة وأضاءها كأنه لا يصدق بأن جيني ليست موجودة بل مختبئه في مكان ما، وبغباء شديد فتح الخزانة حتى أنه نظر إلى ما تحت الطاولة وكأن جيني أرنب صغير

خائف يختبىء تحت الاثاث، فاشتعل الغضب في داخله لاختفائها وهروبها منه بهذا الشكل.

وعندما لم يعد هناك مكاناً ليفتش فيه، جلس على الكنبة وهو يشعر بالخيبة والاعياء. إنها من الواضح كانت قد خرجت منذ وقت بعيد متسللة من الباب الخلفي وكأنها لم تعد تثق به وعادت إلى موقفها السابق منه.

وأخذ يتصوّر جيني الآن في موضع خطر للغاية وهو عاجز عن تقديم أية مساعدة لها.

نهض بسرعة من على الكنبة ورفع سمّاعة الهاتف ليطلب الرقم الخليوي لعميل له وضعه ليلاً نهاراً لمراقبة تحركات أليكس. وبصبر شديد أخذ ينتظر الرد متسائلاً في نفسه عن عدم الرد لذلك العميل بسرعة، ثم: «ألو، مينكن؟ هنا مايكل، هل تحمل أنباءً جديدة لي؟»

أجاب مينكن بنبرة غير واثق من نفسه: «لقد حبس أليكس نفسه في الفندق طوال يوم أمس، لكنه خرج مسرعاً هذا الصباح، وكنت ألاحقه شرقاً منذ نصف ساعة مضت، ولم يكن هناك ازدحاماً على الطرقات في مثل هذا الوقت من النهار، لذا كان عليّ أن أبقي بعيداً عنه بعض الشيء، أ... اضطررت لذلك... وإلا لكان اكتشف أمري، أنت تعلم هذا المبدأ.»

أدرك مايكل من نبرة صوته بأنه ارتكب خطأ فادحاً ويعتذر منه، فقال بجزع: «وماذا؟»

«لقد أضعته.»

تمالك مايكل نفسه ولم ينهال عليه بالشتائم وقال مصطنعاً البرودة: «كيف؟»

www.liilas.com

أجاب مينكن بشيء من الارتياح: «من حظي السيء فقط. وحصل ذلك قبل خمس دقائق من اتصالك بي، وكنت في الحقيقة على وشك أن أتصل بك، لقد شاهدته ينطلق فوق جسر متحرّك آخر مرة عندما فُتح ليسمح مرور البواخر مع أنه لم يكن هناك ولا حتى باخرة واحدة تعبر. إنني لم أتصوّر بأنني سأواجه أية مشكلة، والظاهر أن بعض العمال كانوا يعاينون الجسر المتحرّك وعلقت بين السيارات المنتظرة فاختفى أليكس عن نظري كليّاً بعد ذلك.»

حارب مايكل الالحاح الشديد الذي في نفسه لانتقاده على تصرفه الغبي هذا، لأنه من الحماقة جداً أن يبقي مسافة بعيدة عنه على الطريق المتجه إلى الجسر المتحرك. وتمنى لو كان هو بذاته في سياتل ليختار بنفسه العملاء الكفوئين لمهام من هذا النوع، أما هؤلاء الذين اضطر لاستخدامهم هنا، لا يستحقوا حتى في أبسط المهام.

لقد أضاع وقته مع عملاء كهؤلاء، والآن قد أضاع طريق أليكس، وما عليه سوى أن يتحلى بالصبر لربما تأتيه فرصة ليصلح ما أفسد. فأخفض صوته وسأل مينكن أن يصف له الطريق التي اتخذها أليكس بالتفصيل المحدد، وأغمض عينيه وهو يصغي إلى كلامه وكأنه يبحث في كل كلمة يقولها عن مخرج أو دليل يرشده إلى هدفه.

وشيئاً فشيئاً، تبلورت الصورة وتراءت في رأسه، فذلك الجسر المتحرك يتصل بعدة جسور صغيرة تؤدي إلى جزر صغيرة وهي التي رآها في الساحة الخارجية لمسكن براد، وكانت إحدى تلك الجزر تسمى ستيوارت روست.

اشتدّ الجفاف في حلقه وتألم من ضغط سماعة الهاتف على أذنه، وأخذ يراجع بعض الأمور في فكره من اسم كاتي كليدر وإلى الجسر المتحرّك وإلى الرمال التي علقت بسيارة جيني، ثم أعاد السماعة إلى مكانها وشعر فجأة بالضعف والارتباك لهذه المعلومات التي لا تكفي.

لكنها كانت كل ما يملكه.

* * *

فكّرت جيني بسخرية بينما كانت تتكىء على نافذة الكوخ، إنها لم تر جزيرة ستيوارت روست تبدو أجمل مما هي عليه الآن خاصة في ساعات كلار الأخيرة عليها. فقد هبت رياح الصيف على الجزيرة هذا الصباح وحوّلت كل سعفة من أشجار النخيل إلى لون أخضر زاهي وأخذ يرفرف كالمروحة مع الهواء العليل المنعش. حتى أن الشجيرات التي بدأت تنمو تحت الأشجار الكبيرة، بدت بصورة رائعة تبهج النفس وكأنها سيوف للمبارزة تغطي رؤوسها الأزهار الوردية والصفراء.

كذلك بدت الغيوم الرمادية في الأفق رائعة تفتن الألباب، فأدركت جيني أنها كانت تعني بأن الرياح تأخذ قسطها من الراحة قبل أن ينهمر المطر بغزارة، لذا عليها وكلار أن تسرعان قبل أن تدركهما العاصفة من جديد.

«ألم تنتهي بعد؟» قالت لكلار التي كانت في المطبخ والتي كادت أن تجن لتأخر مجيء جيني إليها، وصور لها عقلها بأنها قد تكون تعرضت لحادث مؤسف، أو ربما نكثت بوعدها لها، أو أي شيء آخر ينذر بالشؤم، لكن جيني أخفت

www.liilas.com

عنها كل ما أخبرها به مايكل الليلة الماضية عن حياته السابقة وتأثرها بها.

«تقريباً.» أجابت كلار بصوت مكتوم تقريباً، لأن رأسها كان داخل الثلاجة عندما تكلمت بينما كانت تحاول أن تقرّر ما الذي تأخذه معها وما الذي تطرحه جانباً.

حملت جيني حقيبتي شقيقتها كلار الثقيلتين ووضعتهما عند باب الكوخ قائلة وهي تلهث: «ارميها جميعها في مكب النفايات، وستأتين بما يطيب لك عندما تستقرين.»

«لكنها خسارة في الحقيقة.» قالت كلار ذلك وهي ما زالت تحدّق بمحتويات الثلاجة بأسف.

أجابت وهي تحاول جاهدة أن تصبر على كلام شقيقتها السخيف: «هيا ارم هذا اللبن الذي لا يستحق منك هذا الاهتمام، وكذلك ثمنه الذي لا يساوي شيئاً.» ثم أشارت بيدها إلى الخارج وتابعت: «انظري إلى السماء، إنها ستمطر في أية لحظة، فهيا بنا نذهب قبل أن...»

تكسرت الكلمات فوق شفتي جيني عندما شاهدت تبدل ملامح كلار. فقد حوّلت كلار نظرها إلى الخارج كما أشارت لها، وحالما فعلت ذلك تبدّل لون وجهها واتسعت عيناها، وأطبقت شفتيها على بعضهما كي لا تصرخ خائفة.

قطبت جيني حاجبيها من ذلك والتفتت لترى ما الذي أحدث هذا التغيير في كلار، لأنه من المؤكد أن بعض العواصف الرعدية قد لا تسبب لهما أية كارثة دامية، حتى لو أن هناك عاصفة ستهب على الكوخ لتقتلعه من مكانه، لا يستحق منها هذا الشحوب والامتقاع في وجهها.

ورأت بعد ذلك كل شيء وسرت قشعريرة باردة في جسدها وأدركت أن وجهها الآن لا يقل امتقاعاً وشحوباً عن وجه كلار. لقد شاهدت في الخارج ظهور ثلاث سيارات داكنة اللون وزجاج نوافذها داكن أيضاً لا يمكن التعرف على من في داخلها، وقد توقفت هذه السيارات على شكل نصف دائرة حول سيارة جيني الحمراء لتسد عليها طريق الخروج.

شلّت حركة جيني وهي تقف تنتظر أن يخرج أحدهم من واحدة من هذه السيارات لعلّها تفهم ما يحدث. وكانت نبضات قلبها تفوق سرعة نبضات قلب الإنسان العادي، كذلك تصبب الرطوبة على جبينها وهي عاجزة لا تأتي بأية حركة، بينما وقفت كلار وراءها تتنفس بصعوبة وبدت هي الأخرى وكأنها تجمّدت في مكانها.

ما معنى ذلك؟ ومن يكونوا هؤلاء؟ تردّد هذان السؤالان في رأس جيني، وأخذت اللحظات القليلة تشتد وطأة عليهما لدرجة أنهما اعتقدتا بأنها حياة كاملة، إلى أن سائق السيارة في الوسط، فتح الباب فجأة.

عرفت في الحال وحالما ظهر قسما من سروال الجينز، وتساءلت كيف أنها لم تتعرف عليه منذ البداية من سيارته المميزة تلك. إنها سيارة مايكل وها قد خرج الآن وظهر بكامل قامته وقد بدا الاشمئزاز على ملامحه.

صرخت كلار عند ذلك صرخة ملؤها الرعب والثورة: «آه، لقد قلت لك! كما وانني عرفت بأنك ستخبرينه، عرفت ذلك.»

لكن جيني لم تجبها، فالوقت لا يسمح لها بالانكار والاعتذار، فلاذت بالصمت الذي أصبح يثقل أكثر بالخوف

www.liilas.com

والجزع من اللحظات القادمة. وفجأة، فتح أيضاً باب من بابي السيارتين الأخرتين وظهر منها رجلان يناديان أحدهما الآخر، ثم اقفلا كل منهما باب سيارته بقوة وبعنف.

كانت السيارة الأولى تخصّ أليكس، وعندما لاحظ خروج مايكل من سيارته، خرج هو الآخر وقد بدا عليه التوتر الشديد بكل ما في الكلمة من معنى، ثم اندفع بخطى واسعة في الممر المؤدي إلى الكوخ، فلحق به مايكل ووضع يده على كتفه ليوقفه. أما الرجل الأخير الذي خرج من السيارة الثالثة، فقد كان يضع نظارة على عينيه وبدا عليه أقل تورطاً من الرجلين الآخرين.

وعندما تبينت جيني ملامح الرجل الثالث، ارتعبت وشهقت شهقة قوية، انه واحد من آل ميتشل بوجهه القبيح وقسماته التي تطفح شراً، وتساءلت عن دوره في هذه القصة كلها.

«أسرعي، علينا أن نسرع بالخروج من هنا!»

صرخت كلار بذلك ونبرة صوتها تحمل كل معاني الخوف والجزع.

أخذت جيني تفكر بسرعة تحاول أن تجد خطة تمكنهما من الخروج من هنا، ولكن أفكارها كانت تدور في حلقة مفرغة وعجزت عن الاهتداء إلى خطة واحدة ناجحة. ووبخت نفسها لأنها لم تفكر بحدوث أمر كهذا، كان عليها أن تقتني مسدساً، أو أن تمهد سبيلاً للهروب إذا اقتضت الحاجة. لكن ماذا ينفع الكلام الآن فقد وقعت الواقعة وسدّت كل الأبواب أمامها، إنما وفي قرارة نفسها، كانت ما زالت لا تصدق أن أمراً كهذا قد يحدث.

نظرت من جديد إلى الخارج، فوجدت أن مايكل وأليكس كانا قد انتهيا من حديثهما وأصبحا على عتبة باب الكوخ.

«اخرجي من الباب الخلفي.» أسرعت جيني تقول وهي تشير إلى باب المطبخ الذي يؤدي إلى الشاطىء. بدت كلار مرتبكة ولكنها واثقة من كلام جيني وابتعدت في الحال منصاعة لأمر شقيقتها.

ثم تابعت جيني تقول بثقة أكبر: «هناك مطعم صغير مقابل الشاطىء على مسافة غير بعيدة من هنا صوب الجنوب، هل تتذكرينه؟»

قطبت كلار حاجبيها مفكرة ثم بدا عليه الارتياح وقالت: «آه، نعم، أعرفه.»

قالت جيني: «عظيم، لنتوجه إليه.» وأمسكت بيد شقيقتها إلى باب المطبخ متابعة: «سنجد هناك بعض الأشخاص على الأقل ولن نكون بمفردنا.»

ثم سمعتا أصواتاً مزعجة مصدرها طرقاً شديداً على الباب وأن الذي يطرق لا مانع عنده من تحطيم الباب الموصد بوجهه.

«لنركض!» قالت جيني ذلك بعد أن فتحت باب المطبخ، وأخذتا تركضان فوق الرمال، لكنه كلار كانت أسرع منها لانتعالها حذاء الرياضة، بينما كلار أخذت تتعثر في جريها لانتعالها حذاء عادياً، فسقطت على الرمل وقد لوت كاحلها.

حاولت أن تصرخ من الألم، لكن أنفاسها اللاهثة والمتلاحقة منعتها من ذلك، وبتعثر شديد غير عابئة بالألم، نهضت وعادت تركض بعجز فوق الرمل، ولم تكن كلار تبعد عنها بأكثر من عشرة أمتار.

www.liilas.com

من المؤكد الآن أن الرجلين توقفا عن الطرق على الباب ويحاولا. معالجته بالكسر والخلع، أو ربما أدركا الآن بأنه من غير المعقول أن تكون الامرأتان ما زالتا قابعتين في الكوخ تنتظران بخوف أن يقبض عليهما. ومايكل سيكون أول من يدرك ذلك، فكرت جيني وتصورته يبتعد عن باب الكوخ بسرعة ليدور إلى الناحية الخلفية متوقعاً أن هناك مخرج آخر، ثم يحوّل نظره إلى الشاطىء فيلمحهما.

لكن ثمة شيء أمسك بكتفيها بقوة وعنف، ليس شيئاً بل أحد، فتعثرت قدماها وكادت أن تسقط مرة أخرى على الرمل. ولكن مايكل لم يدعها تسقط وأدار بها بسرعة نحوه لتشاهد قسمات وجهه الثائرة بقوة وجنون.

ثم قال بثورة كقصف الرعد: «اللعنة يا جيني، ما الذي...»

قطع عليه كلامه عويل كلار الخائفة من بعيد: «آه يا جيني لا!» ولم تكن بعيدة كثيراً عنهما. وعندما أدارت جيني رأسها ناحيتها، وجدتها تقف مكانها وكأنها شلّت تماماً عن الحركة، وأخذت تنتقل بنظراتها بين المطعم الذي كانتا تقصدانه وبين شقيقتها متسائلة في نفسها، هل تهرب من كل ذلك، أم تبقى لتساعد جيني؟ احتارت في أمرها وقالت متردّدة وكأنها تسأل شقيقتها عمّا تفعله الآن: «جيني؟»

«اهربي، اهربي!» صرخت جيني لكن بضعف آملة أن تسمعها كلار.

لم تكن كلار بحاجة إلى كلمة أخرى كي تحثّها على الهرب، فاستدارت بسرعة وأكملت تركض نحو الشاطىء

حيث الرمال المبلّلة تسعفها أكثر بالجري والعدو. أما مايكل فقد خرجت من بين شفتيه كلمة تساؤلية: «اهربي؟ هل أنت تهربين مني يا جيني؟»

أرادت أن تجيبه، أن ترمي في وجهه كلمة نعم بقسوة وحشية، لكن نظراتها التقطت شيئاً اسكتها عن التفوّه بتلك الكلمة.

لقد وجدت أليكس والرجل الثالث يركضان حول الكوخ باتجاههما، وكان وجه أليكس شاحباً ومنفعلاً من عوامل عدة، كما أنه كان يصرخ بكلمات مبهمة لم تتمكن جيني من أن تفهمها جيداً.

كان أليكس يعدو بسرعة ويومىء لها بيده أن تبقى مكانها، وكرهته كرهاً شديداً، ولامت نفسها لأنها لم تتصل بالشرطة منذ أيام، لماذا انصاعت إلى كلام كلار التي كانت متمسكة بأمل واهٍ لا سبيل إلى تحقيقه، الا وهو أنه لا بد لأليكس أن يتعقل ويقف موقفاً آخر منها.

ترقرقت الدموع في عينيها واحتقن صوتها حين قالت: «كيف يمكنك أن تفعل ذلك يا مايكل؟ كيف يمكنك ان تحضره إلى هنا؟»

«أحضره إلى هنا؟» قال مايكل ذلك وقد ازداد امتقاع لون وجهه فكأنه الفولاذ عندما يوضع فوق نار حامية.

عند ذلك أصبح أليكس إلى جانبهما تماماً.

كان بإمكان جيني أن تسمع أنفاس أليكس المتلاحقة بعد ركضه الطويل وقال لاهثاً: «أين هي يا جيني؟ إلى أين ذهبت؟» وتوقف عن الكلام ليمسح جبينه ثم تابع: «يجب أن أكلمها، فأنت لا تدركين كم هو بغاية الأهمية!»

www.liilas.com

لم تستطع جيني أن تجيبه، بل أبعدت نظراتها عنه عاجزة عن النظر إليه أكثر.

التفت أليكس نحو مايكل وقال: «هل رأيتها إلى أين اتجهت؟»

لكن مايكل لم يجب في الحال، وجعله صمته هذا يتألم، فأمسكت جيني أنفاسها لأنه شاهدها إلى أين اتجهت ومن السهل عليه أن يشير لأليكس باصبع يده إلى الاتجاه الذي ذهبت كلار نحوه وأخذت تصرخ له في أعماقها: لا تقول له، لا تقول له. ثم أغمضت عينيها كأنها تريده أن يسمع نداءاتها الداخلية.

أجابه مايكل أخيراً بهدوء: «ربما، لكن يجب أن أعرف أولاً ما تريده منها بالتحديد؟»

قال اليكس بمرارة والكلمات تخرج من فمه بصعوبة: «إنها زوجتي، ولي الحق بأن أكلمها.»

تابع مايكل يقول بهدوء لكن بعند: «بخصوص ماذا؟»

يبدو هنا أن أليكس لم يعد قادراً على احتمال برودة أعصاب مايكل فقال: «اسمع يا وينترز...» وتقدّم خطوات قليلة منه ليهدّده وكأنه غاب عن ذهنه قامة مايكل التي تفوقه طولاً وتابع: «هذا الأمر لا يعنيك أبداً.»

ولدهشة جيني، وجدت الرجل الثالث الذي كان يراقبهم طوال الوقت، قد تقدّم إلى جانب أليكس يتنحنح بصوته ثم قال مشيراً: «هل أنت بحاجة إلى أية مساعدة سيد وينترز؟»

أجاب مايكل دون أن يبعد نظره عن أليكس: «ليس بعد.» فأنصاع الرجل إلى كلامه وتراجع إلى الوراء.

احتارت جيني بغموض وتساءلت، من عساه يكون هذا

الرجل؟ أهو أحد الرجال الذين يعملون في خدمة مايكل؟ هذا مما لا شك فيه، لكن لماذا جاء به مايكل إلى هنا يا ترى؟ ولم يكن لديها متسع من الوقت للتفكير في هذا الموضوع، فقد وجدت أليكس يزداد ثورة ويتقدم أكثر من مايكل ملوحاً بقبضة يده.

«هذا الأحمق الذي يرافقك لا يخيفني يا مايكل. فلقد تناقش مع أشخاص بإمكانهم القضاء عليه بسهولة ومع ذلك فزت عليهم!»

«أمثال آل ميتشل؟» أجاب مايكل بهدوء، دون أن يرمش له جفن من تلويح قبضة يد أليكس، لكن جيني أدركت بأنه يغلي ويحترق غضباً في داخله، وتساءلت هل من المعقول أن أليكس لا يشعر بذلك أيضاً.

أقرّ أليكس بوحشية: «نعم، مثل آل ميتشل. هل هذا يصدمك يا مايكل؟ لطالما كنت تعتقد بأنك افضل مني ومن كوين، اليس كذلك؟ وبأنك قوي جداً ولا تحتاج إلى أشخاص مثل آل ميتشل، وكنت مثال الأخلاق الحميدة، لكن بالطبع ليس مع بروك.»

ارتعش مايكل من كلام أليكس الأخير وشعر بآلام حادة في صدره، فأرادت جيني أن تصرخ عالياً لتوقف أليكس عن متابعة كلامه وكأنها شعرت ما يعاني منه مايكل في هذه اللحظات.

لكن ثورة أليكس لم تتوقف عند هذا الحد بل تابع يقول: «كما انك لم تعرف يوماً ما هو الذي تتكلم عنه يا...»

لم يتمكن أليكس من إكمال شتيمته، لأن مايكل أخيراً لم يستطع تمالك أعصابه أكثر، فأمسك فك أليكس بقبضة يده

www.liilas.com

الفولاذية يحاول كسره، وتأوه أليكس بانهزام وسقط مغلوباً على أمره فوق الرمال.

وأخذ يتأوه ويئن: «آه، آه، آه.» فمبادرة مايكل له قطعت عليه كل الكلام الذي أراد أن يقول. ثم تابع يقول بألم: «آه، ماذا عساي أن أفعل؟ إنهم وراء كلار.» وتهدّج صوته بسبب الدموع التي تساقطت من عينيه وتابع: «ماذا عساي أن أفعل؟»

«أليكس! آه، لا لا.»

وجّهت جيني نظرها إلى مصدر الصوت مندهشة لسماع صوت شقيقتها التي من دون شك كانت مختبئة في مكان تقدر أن تسمع كل ما يجري ويدور، ثم أسرعت مرتاعة إلى جانب زوجها.

وبصوت هامس لطيف قالت له: «أليكس، هل أنت بخير؟ هل أنت بخير؟»

هتف أليكس بارتياح ولف ذراعه حول كتف زوجته وقال: «كلار، آه يا كلار.»

حدّقت جيني بذهول ودهشة فيهما وكأنها لا تصدق ما تراه عيناها.

كانت جيني في هذه اللحظات قد أصبحت في حالة لا تحسد عليها من التعب والارهاق الشديدين، وأخذت ترتجف من البرد لتبدل أحوال الطقس وبأن العاصفة تنذر بالهبوب في أية لحظة الآن وقد نسيت أمرها كليّاً منذ أن أمسك بها مايكل وكان ما كان بعد ذلك. وأخذ المطر ينهمر بقوة وغزارة، فحوّلت نظرها إلى السماء لتجدها قد تلبّدت بغيوم سوداء.

لكن وعلى ما يبدو، أن كلار وأليكس لم يلاحظا شيئاً من ذلك وكأنهما بعيدين عن الأرض، فحوّلت جيني نظرها إلى مايكل بعد أن بلّل المطر شعرها ووجهها وفي عينيها تساؤلات عديدة، فوجدته ينظر إليها وقد امتقع وجهه.

ثم قال بهدوء: «أعتقد أن من الأفضل لنا أن نحتمي بالكوخ. لقد حان الوقت لنا جميعاً لنحصل فيه على بعض الأجوبة.»

www.liilas.com

الفصل الثالث عشر

كانوا في حالة متسخة جداً عندما دخلوا إلى غرفة الجلوس في ذلك الكوخ، فقدّرت جيني حالة مظهرها الخارجي من مجرد نظرها إلى كلار المبلّلة بالمطر والرمل، وقد بدا شعرها الأشقر الجميل باهت. بينما أصبح المطر في الخارج أكثر غزارة تطرق قطراته على النافذة طرقاً متواصلاً. ومن يشاهدهم جميعاً، يخال إليه من حقارة مظهرهم بأنهم حقاً من سكان هذا الكوخ الوضيع. عدا مايكل، الذي بدا شعره الكثيف بعد تساقط المطر عليه أكثر لمعاناً وكثافة.

لكن ومن بينهم جميعاً بدا ألكيس وحده الأكثر تعاسة وبؤساً، فالبرغم من كل اهتمامات كلار به، فقد تحول فكه إلى لون داكن بعد أن ضغط مايكل عليه كي يوقفه عند حدّه. وجلس على الكنبة ورأسه بين يديه، وكأنه لا يستطيع أن يحمل نفسه في النظر إلى وجوههم، خاصة إلى زوجته كلار.

«هيا نتابع حديثنا يا أليكس.» قال مايكل أخيراً قاطعاً الصمت الذي لفّ أرجاء الكوخ، بينما كان يتكىء إلى طاولة قريبة من باب المطبخ وتابع: «يجب أن لا نضيع الوقت أكثر، فلو أنت بإمكانك أن تجد كلار وأنا بإمكاني أيضاً، إذاً أي كائن كذلك يمكنه أن يجدها.»

نظرت كلار إلى مايكل وتوقفت يدها تلقائياً عن تنقية

الرمال العالق في شعرها، وبدت بوضوح بأن كلامه لم يسرها، لكنها لم تتفوّه بكلمة واحدة، بل نظرت إليه صامتة للحظات، وتابعت بعدها تنظيف شعرها.

تنهّد أليكس بعمق وقال: «أعرف، أعرف، لأنه في الواقع الأمر سهل للغاية. إنني مديون لآل ميتشل بمال كثير، مديون لهم منذ أن كنت طالباً في الجامعة.» توقف قليلاً لينظر إلى الأسفل مفكراً وتابع: «إن والدي لم يكن كريماً علي في بعض الأشياء، لذا استدنت من أجل حاجاتي. وفي الواقع لم أستدن الكثير في ذلك الوقت أو بالمقارنة بما استدنته في الوقت الحاضر.»

أمسكت كلار أنفاسها، ولم يتكلم أحد منهم ليسمحوا له بالمتابعة دون مقاطعة، وكان مايكل يقف مكانه دون حراك ينظر إلى أليكس بعينين ثاقبتين. كما كان الرجل الثالث الذي قدّم نفسه لجيني بأنه تحرٍ خاص، ينتظر في الباحة الخارجية المسقوفة. وكانت جيني في هذه اللحظات العصيبة لا تجرؤ على الكلام مع أن رأسها كان يضج بأسئلة عديدة، وبأنها تعيش كابوساً مزعجاً لا تعرف مخرجاً له.

تابع أليكس بعد فترة الصمت هذه وبدا على الجميع الرغبة التامة بألا يحثوه على الاسراع بالكلام: «على أي حال، وبعد موت كوين، كنت أخطّط لأن أوفي ديوني من مال التأمين، مع انني كنت بحاجة إلى ذلك المال لأفتتح به عدداً من المطاعم، لكنهم اقترحوا عليّ أن أباشر على الفور بافتتاحها وأن اؤجل دفع الديون إلى الوقت الذي أجني فيه الأرباح من تلك المطاعم، حتى أنهم

hamasaat

أقرضوني مالاً ليساعدوني أكثر في هذا المشروع.»

كان في نبرة صوته نبرة النادم والمدافع أيضاً عن نفسه، لكنه توقف وكأنه يعيش تلك الذكريات من جديد، ورفع رأسه وبدت عيناه زائغتان متألمتان.

ونظر إلى كلار متابعاً: «لكنني لم أجنِ من مشروعي سوى القليل، وأصبحت الديون تتراكم أكثر فأكثر، عندها بدأوا يطالبونني بحقوقهم بشراسة يا كلار. وكان علي أن أعدهم بشيء أو لنقل أماطلهم، لذا وجدت نفسي مجبراً على أن أقول لهم عن الميراث الذي سترثينه.»

اتّسعت عينا كلار بشك للمرة الأولى منذ بدأ أليكس بحديثه، وأخذت تحول بنظراتها المرتعشة في كل مكان، إلى أن أخفضتهما أخيراً إلى الأسفل. وكأنما ارتعب أليكس من سكوت زوجته، فضغط على يدها بقوة ونظر بعمق في عينيها.

ثم قال بتوسل شديد: «أقسم لك يا كلار، فصدقيني إذا قلت لك بأنني أعتقدت ان بإمكاني أن أعيد لهم مالهم قبل أن تبلغي سن الثلاثين. وافتتحت ذلك المطعم الأخير، ذلك الذي في نيو جرسي هل تذكرينه؟ واعتقدت أنني بهذا سأنجح، لكن ولسوء حظي أيضاً، كان نصيبه ليس بأفضل من المطاعم السابقين.»

تحرّك مايكل هنا بنفاد صبر طوى بذراعيه فوق صدره قائلاً: «هذا ما يبدو حقاً. على أي حال، أعتقد أن جميعنا نعرف بهذه القصة، فلماذا لا تقطع كل ذلك يا أليكس وتخبرنا عن سبب ملاحقتك لها.»

انزعج أليكس من كلام مايكل فوجّه له نظرة حادة وكأنه

غاب عن ذهنه بأن هناك آخرون في الغرفة وليس وحده مع كلار، ثم قال بغضب: «عن أية ملاحقة تتكلم.»

أجاب مايكل دون أن تتبدّل حاله لا من نظرة أليكس ولا من كلامه الحاد وقال: «تعرف جيداً ماذا أعني، فلقد فكّرنا وبما أنك بمفردك هنا دون آل ميتشل، بأنك لم تطلعهم على مكان كلار. لكن هل بدأوا بالبحث عنها؟ وهل يعرفون بأنها حامل؟ وهل أن هذا الحمل سيكون مشكلة لأنه سيحرمك من الميراث وسيجعله من حق الجنين الذي في أحشاء زوجتك؟»

تكلم مايكل بهدوء وبرودة أعصاب بالرغم من كلامه اللاذع والضار، بينما كانت عيناه تلمعان ببريق غريب، فتساءلت جيني أي موقف مروع آخر غير هذا من المحتمل أن يواجهه ليبدل من اعصابه الباردة هذه.

ثم أكمل مايكل بنفس البرودة والهدوء قائلاً: «لذا لنتكلم بجدية أكثر يا أليكس، والمهم في الأمر الآن هو كيف ستتمكن كلار من حماية نفسها؟»

صدر عن كلار هنا صوت يشبه الأنين والتأوّه، فالتفت أليكس إليها وأمسك بكلتي يديها مطمئناً وقال: «حبيبتي لا تفعلي كذلك. ستجري الأمور على أحسن ما يرام، صدقيني. وهذا سبب محاولاتي كي أجدك وليس من سبب آخر، أردت أن أعثر عليك لكي نتطلق.»

تحوّل الألم في نفس كلار إلى نحيب، فأسرع أليكس يواسيها ليهوّن الأمر عليها وقال: «إنها الوسيلة الوحيدة، كما وانني فكرت كثيراً به إلى أن اقتنعت، ولقد جهزت كل الأوراق اللازمة لهذا الطلاق وما عليك سوى التوقيع عليها.»

www.liilas.com

بدت كلار مشتتة الأفكار، كما أن جيني شعرت بالجفاف في حلقها لأنها لم تكن بالخطة الفضلى، حتى أن بإمكانها أن ترى منذ الآن الخطورة منها وما قد ينتج عنها، والأخطر من كل ذلك، أن انجازات الطلاق الفعلية لن تتم قبل عدة أسابيع ـ لكن الذي يبدو والملفت بالأمر أن أليكس يقوم بهذه المبادرة بدافع من حبه وتعلقه الشديد بها وبالتالي كي يضمن سلامتها. عند ذلك نظرت جيني إلى مايكل نظرة خاطفة لترى ردة فعله، لكنها وجدت ملامحه غير واضحة.

تحوّلت بعدها إلى شقيقتها كلار فوجدتها تسقط دمعتين فوق وجهها الشاحب وهي ترفع نظرها نحو أليكس.

ثم قالت كلار بنبرة ثابتة اندهشت لها جيني: «لا أعرف إن كنت فعلاً أريد الطلاق، لكن الذي أعرفه جيداً، انني أريد أن أدفع لهؤلاء السفلة كل قرش يريدونه منك كي يخرجوا كلياً من حياتنا.»

ففغر أليكس فاه بدهشة ثم قال: «لا، لا يا كلار...»

قاطعته لتقول بإلحاح شديد والدموع تنهمر من عينيها: «بل نعم، أنا لا أريد لوالد طفلي أن يطلق عليه رصاصة غادرة في الشارع، أو أن يُقتل بأية طريقة يقرّها هؤلاء السفلة. لكن هناك سؤال أود أن أطرحه عليك يا أليكس، هناك أمر واحد أود أن أعرفه منك أولاً.»

أخذ قلب جيني ينبض بشدة وقد أدركت ما هو السؤال الذي ستطرحه كلار، وجزعت من الجواب الذي قد يرتبط بحياتها المستقبلية حوّلت نظرها بسرعة نحو مايكل لترى إذا كان قد فهم معنى كل ذلك.

بدت الحيرة على أليكس، فقال: «ماذا؟»

أجابت كلار ببطء: «أريد أن أعرف فيما لو ديونك لآل ميتشل لها علاقة بموت كوين.»

ولخوف جيني الشديد، لم يبد على أليكس الدهشة والاستغراب من هذا السؤال، بل بدا عليه عدم الارتياح.

ثم أجاب: «لا ليست ديوني، لكن ربما ديونه هو.»

قطبت كلار حاجبيها وقالت متسائلة: «ديونه؟ عما تكلم؟ وما الذي تعنيه بديونه؟»

«أعني أن كوين كان يصفّي ديونه في تلك الليلة، فقد كان هو الآخر مديون لآل ميتشل وكانوا قد عرضوا علينا الاتفاق نفسه، وهو لو تغاضينا عن أمر السرقة، سيتوقفون عن مطالبتنا بهذه الديون، لكنني رفضت ذلك من ناحيتي، أما هو، وافقهم على ذلك لأنه كان مديوناً لهم بأكثر مني أنا.»

بانت الصدمة جلية وواضحة في عيني كلار كذلك شقيقتها جيني التي شهقت شهقة قوية لا شعورياً منها.

نظر أليكس عند ذلك نظرة خاطفة إلى مايكل ليرى ردة فعله، فوجده كما وجدته جيني أيضاً لم يرمش له جفن ولم يتحرك، بل كان يحدّق بأليكس طوال الوقت، ولم تستطع جيني الوقوف أكثر من ذلك، فرمت بنفسها بأعياء فوق الكنبة.

تابع أليكس كلامه وهو ينظر إلى مايكل: «وكان همّ كوين الوحيد، هو أن يجد طريقة تبعد مايكل عن المستودع في تلك الليلة، لكن وبمساعدة بروك لم يكن الأمر صعباً، لأنها وجدت طريقة فعلية لتبقيه مشغولاً.»

شعرت جيني وبألم شديد بأن كلمات أليكس كانت

بمثابة خناجر حادة طعنت صدر مايكل. وكانت على حق في ذلك، فعندما أنهى أليكس كلامه، أخذ مايكل يفرك عينيه بعنف وضرب برأسه من الناحية الخلفية بالخزانة لا شعورياً منه.

هذا كثير ولم تعد جيني تقوى على الاحتمال أكثر فانفجرت توجه اتهاماتها لأليكس بانفعال شديد.

«لا أعرف يا أليكس كيف أمكنك أن تفعل ذلك؟ لماذا لم تخبر أحداً بهذه القصة من قبل؟ لماذا لم تطلع الشرطة؟ لقد اطمأنيت فقط بأن آل ميتشل زجوا بالسجن، لكن انظر ماذا فعلت بنا، بمايكل! لماذا فعلت ذلك؟»

انفعلت جيني بشدة وكانت تتألم وتصرخ من بين دموعها التي انهمرت بغزارة، لكنها في الواقع لم ترد البكاء بل تود أن تصرخ وتثور وتابعت: «آه، لماذا يا أليكس، لماذا تركتنا نلوم مايكل طوال تلك السنوات؟»

أجابها أليكس بيأس متجاهلاً سؤالها الأخير: «لقد أصرّ آل ميتشل على أنهم لم يقترفوا تلك الجريمة، لا أعرف... ربما حدث خطأ ما، شيء خارج عن الإرادة فقتل كوين بالصدفة. أقسم لك بأنني لم أعرف ماذا حدث وقتها. إنك لا تعرفين شيئاً عن هؤلاء الأشخاص، ولقد قالوا لي إن من الأفضل ألا يعرف أحد بالعرض الذي قدّموه لي ولكوين وإلا قد أتورط أنا الآخر حتى لو تمكن أحدهم من إثبات هذه الجريمة عليهم. بالاضافة، أنت تعلمين بأن الشرطة كانت تشك فيهم، لكنها لم تستطع إثبات شيء في البداية، لذا، ربما لم يقترفوا تلك الجريمة... ربما حصل ما حصل صدفة و...»

لكنه أدرك كم كان واهٍ وضعيف ما قاله أخيراً، فحدّقت به جيني بطريقة لا رحمة فيها حتى أن القرف وعدم التصديق ظهرت جلية وواضحة فوق قسمات وجهها دون أن تكترت لحالته من الحرج والارتباك. وبالنسبة إليها، اعتقدت أنه كان على الشرطة أن تزجه أيضاً في السجن مع هؤلاء السلفة وترمي المفتاح في أعماق البحار.

إنه لا يشعر بجزء بسيط من الذي تشعر به جيني في هذه اللحظات من الألم والاحتراق، ومع ذلك التفت نحو كلار لينظر إليها نظرة عطف وتوسل قائلاً: «وكنت وقتها مغرماً بك يا كلار وأريد الزواج منك. كنت أعرف أنك لن تسامحيني حتى لو كان عندك أدنى شك بأن لي يد في مقتل كوين. أما مايكل - في الحقيقة لم يكن واحداً منا، ومما يلاحظ أنه لم يكن يهتم بما قد تعتقدينه به...»

عند ذلك، لم يستطع مايكل تمالك أعصابه أكثر، فتقدم بسرعة منه، واعتقدت جيني بخوف أنه من المؤكد سيضع يديه حول عنقه ويخنقه.

لكن ولسبب من الأسباب توقف مايكل عن التقدم في منتصف الغرفة وتسمّر مكانه.

ثم قال: «لا، أتعلم أنك لا تستحق حتى دخول السجن، واعتقد أن من الأفضل أن نتركك لآل ميتشل ليهتموا بك، فعملهم يختص بالتخلص من النفايات.»

استدار بعد ذلك واندفع كالسهم باتجاه باب المطبخ ليخرج منه إلى الباحة الخلفية للكوخ بالرغم من الأمطار الغزيرة وكأنه أحس أنه بحاجة إلى هواء نظيف ليسهل عليه عملية التنفس.

www.liilas.com

راقبت جيني خروجه السريع بقلب يقطر دماً، وأرادت أن تلحق به، لكنها بقيت واقفة مكانها في وسط الغرفة قريبة من شقيقتها.

تنهبت إلى صوت سعال سحبها من أفكارها، فقد فتح مينكن باب الكوخ بهدوء ولما لم يشعر أحد به، اضطر للسعال وابتسم بخجل.

ثم قال بلطف: «يمكنكم متابعة ما تقومون به، ويمكنني أن ارعاكم وأحميكم هنا داخل الكوخ.» وأشار بيده إلى كنبة قرب النافذة وتابع: «مع انني لا أعتقد أنكم ستواجهون أية مشاكل أخرى.»

التفتت جيني إلى ناحية شقيقتها، فوجدتها ما زالت على حالها تجلس قرب أليكس وايديهما متشابكة وبالرغم من كل الأحاديث التي دارت في هذا الخصوص، كانت كلار ما تزال تنظر إلى زوجها بنفس المحبة والشغف منذ أن أمسكه مايكل وأسقطه أرضاً.

فمنذ شهر مضى وحتى منذ اسبوع مضى، كانت جيني تميل إلى الشك من تصرفات أليكس وحكمها عليه. لكن اليوم فهمت بأن كلار ما زالت تحب أليكس وبأنها وبطريقة غامضة، لا تراه كما تراه جيني على أنانيته وضعفه وعلى كبريائه المصطنع الحقير.

على أي حال، من تكون جيني لتقوم بحكمها على الآخرين؟ فلقد أحبت مايكل ولم يكن عندها أي فارق لو أنه بطلاً أو جباناً، فليلة البارحة وبالرغم من أن رأسها كان مليء بالشكوك، أخذ قلبها يصرخ وينادي طلباً بمايكل.

وربما، فكرت وهي تراقب أليكس يقبّل يد كلار، أن هذا هو ما يجب أن يكون. ولربما كل شخص يحتاج إلى أحد يتغاضى عن أخطائه وأن يسامحه ويؤازره ويداوي له الجراح. ربما ومن أجل ذلك، قد يكون الحب الزهرة التي تتفتح حتى في الأرض القاحلة، واللحن الذي يسمو فوق أحزان الحياة.

هناك في الباحة الخلفية للكوخ، يقف الآن الرجل الذي قد يكون كل شيء بالنسبة لها. وتساءلت أمن المعقول أن يفعل الحب كل هذه العجائب؟ هل هناك شيئاً يمكن أن يبدّل ما في عينيه من الغضب منها بسبب عدم ثقتها به واتهاماتها المتلاحقة التي سببت له جرحاً تلو الجرح؟ واجتاحتها موجة عارمة من اليأس وهي تتذكر كل الأشياء التي قالتها له، فبدا لها أن الغفران والتسامح غير متوقعان منه.

لكن لا بدّ لها من المحاولة، إنها على الأقل يمكنها أن تقول له بأنها آسفة، وآسفة جداً جداً.

تصنعت الابتسام وقالت لمينكن: «أودّ أن أخرج قليلاً، شكراً لك على كل شيء.» وأملت بعد أن شكرته أن يكون قد شعر بامتنانها له لأنها لم تستطع إيجاد الكلمات المناسبة. اتجهت ناحية باب المطبخ دون أن تكلّف نفسها بالكلام مع كلار وأليكس، لأنها أدركت بأنهما لن يشعرا بغيابها كما لم يشعرا بحضورها وهي معهما في نفس الغرفة.

فتحت باب المطبخ بهدوء، وخرجت منه لتجد مايكل يقف في الباحة المسقوفة، فأخذت نفساً عميقاً وتقدمت لتقف إلى

www.liilas.com

جانبه. من المستحيل ألا يكون قد شعر بها، بل شعر بوجودها قربه وظل صامتاً ينظر إلى الأفق مفكراً.

كانت العاصفة على أشدّها والأمطار تنهمر بغزارة، فشعرت بلفحة الهواء البارد تلفح وجهها وكأنها تريد أن تعيدها إلى الكوخ، فترقرت الدموع في عينيها وهي تشعر بجنون الطقس الغاضب وكأنه يعكس ما في نفس مايكل تجاهها.

لكنها شدّت من عزيمتها وتمسكت بالدرابزين وهي غير عابئة بالمطر المتساقط على يديها.

«إنني آسفة.» قالت ذلك فقط دون أن تستطيع أن تجد أي شيء آخر لتقوله، لكنه تابع صمته وتحديقه بالأفق وكأنه لم يسمع شيئاً. وتساءلت عن الذي يراه هناك، هل أنه يا ترى تتراءى له صور كوين وبروك وطفله الذي لم تكتب له الحياة؟

كرّرت من جديد بصوت خافت ونادم: «إنني آسفة لقد أخطأنا، بل أخطأنا كثيراً في حقك عندما اعتقدنا أنك متورط بمقتل كوين، وبأنك كنت اليوم تريد أن تلحق الأذى بكلار.»

ابتعد قليلاً عنها بحدة ونفور قائلاً: «لا تقلقي بشأن ذلك يا جيني، فالأمر لم يعد يهم على الاطلاق.»

«لكنه يهمني أنا.» أجابته وقد تذكرت أنه لولا اعتراف أليكس لما كان تحرّر مايكل من الشكوك التي حامت حوله. ربما الذنب كان الحبل الوحيد الذي شدّه إلى حياتهم، والآن انقطع الحبل.

أسرعت تقول بجزع وقد اعتقدت أنه سيتركهم هذه المرة:

«إنني لا أتوقع منك أن تسامحنا، فنحن لا نستحق ذلك منك، خصوصاً أنا.»

نظر إليها أخيراً مبتسماً ابتسامة لا تعيد إليها آمالها وقال: «لماذا خصوصاً أنت؟»

أفلتت يديها من على الدرابزين وكان وجهها قد ابتل كلياً بفعل الأمطار ثم قالت: «كان ينبغي علي أن أصدقك، كان ينبغي أن أثق بك لأنني... لأنني كنت أنا التي أحببتك.»

ضحك ضحكة جافة وأبعد وجهه عنها قائلاً: «آه، هكذا.»

هتفت بألم: «نعم، هكذا. لماذا تضحك هكذا؟ ألا تصدق ما أقول؟ ألا تذكر انني حاولت أن أقول لك ذلك ليلة البارحة؟»

أجابها ساخراً: «نعم أذكر ذلك، وبعدها، في هذا الصباح هربت مني وكأنني وحش كاسر أريد أن أقضي عليك. هل تحاولين القول لي انك تحبينني وتعتقدينني وحش كاسر في نفس الوقت؟»

نظرت مليًا في عينيه الغاضبتين وخشيت من أن تفقد أعصابها، وتساءلت في نفسها هل يستطيع بالرغم من كل ما تعرّض له في حياته من الأذى، أن يهتم لأي تبرير قد تقدمه له؟

أجابته بشجاعة على قدر ما استطاعت والألم يحزّ في قلبها: «نعم، هذا تماماً ما أحاول أن أقوله لك. فقد أحببتك منذ ان كنت صغيرة السن، وكنت عندها لا أدري ما معنى هذه الكلمة، واحببتك عندما كنت صديقاً لأخي، حتى انني احببتك عندما اعتقدتك بأنك سبب موته.»

www.liilas.com

ضاقت عيناه وهو يتنفس بعمق الهواء البارد وتابعت تقول: «وسأبقى أحبك حتى لو تركتني.»

«جيني، إنني...»

قاطعته قائلة: «وأنت ستتركني، أليس كذلك؟» ثم أخذت بالبكاء من فرط تأثرها وتابعت تقول من بين دموعها: «إنك ستعود إلى سياتل وستحاول هناك جهدك كي تنسى حتى معرفتك بنا.»

أجابها بقسوة: «عليّ ذلك، عليّ ذلك! فهناك لا أشعر بشيء، لا أشعر سوء بالأمان يا جيني، فلا أحد هناك يمكنه أن يؤذيني كما أذيتني أنت.»

«آه يا مايكل...» بدأت تقول ثم توقفت وقد شعرت بالخجل الشديد من نفسها، لأنه كان على حق وكل الحق في أن يرحل. كيف تطلب منه البقاء، بينما أهلها سبّبوا له الألم؟ لكن كيف أيضاً يمكنها أن تدعه يرحل؟ فهي تحبه كثيراً وتحترم صمته الطويل من أجل صداقته لشقيقها كوين.

ثم همست متوسله: «أرجوك، أرجوك ألا ترحل عني.» وتاهت بين أفكارها متسائلة لو أنه يمنحها الفرصة، لكانت نذرت حياتها كلها لتمسح الألم والجرح الذي ألحقته به عائلتها.

أعاد عليها جوابه الأول بجفاف: «عليّ ذلك، لكنني لا أستطيع. فعندما عدت إلى تكساس شعرت بأنني ولدت من جديد.» ثم تبدّلت نبرة صوته القاسية إلى نبرة هادئة وتابع يقول: «وما زلت حيّاً، أو انك لم تلاحظي ذلك. ويخامرني شعور بأنني سأبقى دائماً حيّاً ما دمت قريباً منك.»

وبان البشر والفرح بوضوح على وجهها، ثم ابتسمت قائلة: «آه، نعم، إذاً ما عليك الآن سوى أن تبقى هنا لنعيش معاً حتى آخر العمر.»

فأجابها ممازحاً: «نبرتك الآن تشبه نبرة براد مكينتوش الحالمة.»

ضحكت بلطف وشعرت ببهجة لسماعها نبرة الغيرة في صوته من براد، لأن هذا يعني بأنه يهتم بها. ثم نظرت إليه بعينين تترقرقان بدموع الفرح: «نعم بالفعل، كما أن براد علمني مقطعاً من شعر شكسبير، فهل ترغب في سماعه؟»

أومأ برأسه بالايجاب قائلاً: «أعتقد ذلك.»

بدأت عند ذلك تلقي الشعر بطريقة حالمة: «بعمق أحبه، معه أتحمل الصعاب والمشقات، ولا حياة من دونه.»

فقال مايكل بسعادة: «نعم، نعم، هذا عظيم، لكن اصغي إلي يا عزيزتي جيني، عليك أن تقولي لذاك براد بأنه من غير المقبول لسيدة متزوجة أن تأخذ دروساً في الشعر.»

هل أتى على ذكر الزواج؟ وغمرتها سعادة ما بعدها سعادة ونظرت إليه بعينين مبتسمتين وقالت ممازحة: «إلا إذا كانت هذه الدروس من زوجها.»

فقال مؤيداً: «نعم مني أنا فقط.»

ثم أمسك بيدها وهمس بلطف: «أحبك يا جيني، ولا أجد في كلمات شكسبير ما يكفي لأعبر لك عن ذلك أكثر.»

فأجابته بفرح وسعادة: «إذاً توقف عن استعمال الكلمات وأحبني بصمت يا مايكل.»

www.liilas.com

عند ذلك، أمسك بيدها تاركين الكوخ ومن في الكوخ، وأسرع بها إلى والدها ليطلبها منه والسعادة ترفرف من حواليهما بعد الحزن الطويل.

تمت

hamasaaat